عصام بشير العوف

الحضـــــارات
صراع وحوار وتفاعل

قراءات في الحضارة الإسلامية
. المملكة والمشعل الحضاري
. فلسطين قضية حضارية
. الانتماء الحضاري

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤ م

ⓒ عصام بشير العوف ، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العوف ، عصام بشير
الحضارات صراع وحوار وتفاعل. / عصام بشير العوف .- جدة ، ١٤٢٣هـ

١٢٣ ص ؛ ٢١ سم

ردمك: ٥-٣٥٩-٤٣-٩٩٦٠

١- الحضارة ٢- الحضارة الاسلامية أ.العنوان
ديوي ٩٠١,٩ ١٤٢٣/٥٥٠٧

رقم الإيداع: ١٤٢٣/٥٥٠٧
ردمك: ٥-٣٥٩-٤٣-٩٩٦٠

عصام بشير العوف

الحضـــــارات
صراع وحوار وتفاعل

1

قراءات في الحضارة الإسلامية
. المملكة والمشعل الحضاري
. فلسطين قضية حضارية
. الانتماء الحضاري

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إياك نعبد وإياك نستعين

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الإهـــداء

إلى الحلم الذي أصبح حقيقة
إلى الخاطر الذي تحول واقعاً
إلى من تأمل طويلاً على شاطئ الخليج منذ كان طفلاً
ثم سعى لتحقيقه شاباً .. حتى فتح الرياض
وبعد العمل وبذل الجهود بإصرار وإيمان
أسس دولة إسلامية عصرية
هي المملكة العربية السعودية
إلى الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه
وإلى أبنائه الميامين ملوكاً وأمراء
وإلى شعبه السعودي العظيم
الذي سار على خطاه .. على درب
لا إله إلا الله محمد رسول الله
وحمل أمانة الدين ومشعل الحضارة
إليهم جميعاً
وإلى كل من ساهم في تعزيز البناء السعودي
وإلى كل عربي ومسلم

أهدي هذا الكتاب

المؤلف

هذا الكتـــاب

منذ نشأة الإنسان في العصور الغابرة، عرفت الإنسانية عدداً كبيراً من الحضارات، وشهدت بناء المدن والمجتمعات وعرفت الاستقرار كما تنازعتها الحروب والويلات إلى جانب التعاون والتعايش والائتلاف.

وقد قمت في هذا الكتاب باستعراض بعض الحضارات بعيداً عن التفاصيل شاملاً لما يتطلبه البحث، ومن ثم استخلصت عناصر ومميزات الحضارة بشكل عام.

ثم تحدثت عن الحضارة السائدة وهي الحضارة الغربية بشقيها الأوربي والأمريكي، ثم الحضارة الحية وهي الحضارة الإسلامية، ثم أشرت إلى بعض مظاهر التميز والتفوق في الحضارتين.

وتبين لي أن الصراع بين الحضارات لا ينتهي بالحروب ولا بالسياسة ولا بالدهاء ولا بالقهر، بل لابد من الهدوء والتفاعل الإنساني حيث تستوعب حضارة قوية شعوباً من حضارة أخرى.

فتتعايش معهم سلماً مع المحافظة على حقوق الفرد وصون كرامته واحترام أفكاره ومعتقداته وأسلوب حياته.

ولما كانت الحضارة الإسلامية هي الحضارة الحية، فقد رأيت أن أقرأ فيها بصوت مسموع ثلاثة فصول الأول عن المملكة العربية السعودية التي اختارت الإسلام خالياً من الشوائب أساساً تعتمد عليه في مسيرتها الحضارية.

والثاني عن قضية فلسطين في الصراع الحضاري باستعراض لتاريخها السياسي ونضالها وقوافل شهدائها.

والثالث عن الانتماء الحضاري الذي يتطرق للأفكار الجديدة المستوردة التي عصفت في العالم الإسلامي، ولا يوافق الإسلام عليها، ولكنه طواها بين جناحيه، وحفظ وحدة الأمة وتمسكها بأصالتها وعراقتها.

القسم الأول

مقدمة في الحضارات

- الحضارات عبر التاريخ
- مميزات وعناصر الحضارة
- نتائج واستدلال وتعريفات
  - الحضارة الغربية .. من الفردية إلى العولمة
  - الحضارة الاسلامية .. تطبيق التعايش وقبول الآخر

الفصل الأول

الحضارات عبر التاريخ

١ - الآراميون

هم بدو رحل من شبه الجزيرة العربية سكنوا وادي الفرات واقتبسوا من حضارة الأموريين والكنعانيين غير أنهم احتفظوا بلغتهم ونفوذهم

وقد ظهرت عدة دول آرامية في منطقة الفرات وأهم مراكز دولهم صوبة ثم دمشق التي تأسست في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد

وامتدت إلى الفرات واليرموك وتاخمت الآشوريين في الشمال والعبرانيين في الجنوب وتفوقوا وتوسعوا في التجارة أكثر من التوسع العسكري أو السياسي

وقد وصلت قوافلهم التجارية إلى منابع دجلة وخرائب نينوي وتم اكتشاف بعض الموازين البرونزية العائدة لهم كما تاجروا بالأرجوان الأحمر من فينيقيا والمطرزات والكتان والنحاس والأبنوس والعاج من أفريقيا

كما نشروا لغتهم الآرامية وأصبحت لغة التجارة ثم لغة السكان ثم لغة رسمية بين مقاطعات الامبراطورية الفارسية وعبدو (حدد) إله الزوابع.

٢ - الآشوريون

انشأوا امبراطوريتهم حول مدينة آشور في أعالي دجلة وجعلوا عاصمتهم كالح ثم نينوي ثم قويت دولتهم في منطقة الشرق الأدنى ثم هزموا الكلدانيين وفتحوا مصر واهتموا بالآداب والفنون، وقضى عليهم الميديون، من فارس.

٣ - البابليون

امبراطوريتهم شملت عدة مدن في الألف الثالث قبل الميلاد، قامت بعد سقوط سومر وأشهر ملوكها حمورابي الذي وضع شرائع قانونية لإدارة امبراطوريته

كما استخدم الكتابة المسمارية وقسم المجتمع إلى طبقات وكانت ديانتها وعاداتها موروثة عن الحضارة السومرية وكان لها تأثير على حضارة الآشوريين

اشتهرت بمزارعها وتنظيم عمليات الري، استولى عليها الحثيون والحوريون الكاسيون ثم تدهورت وعمتها الفوضى ثم خضعت للآشوريين ثم أصبحت دولة مستقلة عام ٦٢٥ قبل الميلاد

وتحالفت مع الميديين والفرس لاسقاط الآشوريين ثم قامت الامبراطورية البابلية الجديدة أو الكلدانية ثم وصلت بابل إلى أوج مجدها في عهد نبوخذ نصر الذي هزم اليهود كما هزم المصريين

ثم تدهورت بابل مع غزو الفرس.

٤ - الفينيقيون

قوم ساميون احتلوا الساحل الشرقي للمتوسط يتكلمون لغة الكنعانيين وثقافتهم في فلسطين. حققوا تقدماً ثقافياً لارتيادهم البحر وأعمال الملاحة والتجارة لا ينافسهم إلا اليونانيون واتبعوا نظام المدينة/الدولة، منها صور وصيدا ومستعمرة قرطاجة على الشاطئ الأفريقي وامتد استعمارهم الى اسبانيا والبرتغال

وخضعوا في بعض الفترات إلى الحكم المصري ووصلوا إلى الجزر البريطانية وبرعوا بالتجارة وحصلوا على القصدير وتاجروا بخشب الأرز والأواني الزجاجية والفخارية والأواني النحاسية والزجاج والأدوات المعدنية والمنسوجات

وكانوا يجيدون فن العمارة واخترعوا حروف الكتابة

ثم هاجمهم الآشوريون وخضعوا لملوك الفرس ثم آخيراً للرومان.

٥ - الأمبراطورية الفارسية

تسربوا قديماً من جبال القوقاز حسب رواية هيرودوتس إلى الهضبة الإيرانية الخالية والتابعة للآشوريين. تربطهم القرابة بالميديين ثم ظهر قورش كحاكم لولاية فارس في ميديا وقام بفتوحات سريعة نشأت على أثرها الامبراطورية الفارسية

اقتبسوا نظام آشور السياسي وفنون بابل وكتبوا بالأحرف الآرامية ثم قامت اضطرابات بين الحكام ثم تم وضع نظام مركزي للإدارة

وتوسعت ممتلكاتهم إلى أفغانستان وشمال غرب الهند والبنجاب وبلغت شمالاً حتى نهر الدانوب وأخضعوا بلاد مصر والأغريق

ثم بدأت دولهم تضعف حيث تعاظم نفوذ الولاة ثم هزمهم الاسكندر الأكبر ثم خضعت أراضيهم لسلطة السلوقيين

ثم ظهرت امبراطورية فارسية جديدة تحت حكم الأسرة الساسانية التي عظم شأنها ونافست روما إلى أن دخلها الإسلام.

٦ - مصر القديمة

كانت مصر مأهولة بالسكان منذ ما قبل التاريخ، في العصر الحجري وتدل على ذلك الأدوات الحجرية البدائية المكتشفة وتعتبر مرمدة بني سلامة أقدم حضارة في الدلتا كما أن لمصر العليا أكثر من حضارة بدأت بالفيوم

وقد ظهر عدد من الصناعات الحجرية والفخارية والنحاس منذ عصر البداوة.

كما أثبتت بعض الدراسات أن مصر توحدت على أيدي أتباع موريس وكانت عاصمتهم آون ثم انهارت هذه الوحدة. وظهر ملك آخر ووحد القطرين الشمالي والجنوبي.

وقد حكم مصر الفرعونية ثلاثون أسرة. وكانت (ثيني) في الجنوب عاصمة الأسرتين ١-٢. وتم تأسيس عاصمة جديدة (القلعة البيضاء) والتي عرفت باسم (منف) منذ حكم الأسرة ٦.

وتمتعت مصر بالعصر الذهبي خلال حكم الأسر ٣-٤-٥-٦. وقد بنيت فيه الأهرامات وهي مقابر للملوك وقد عبدت الأسرة ٥ إله رع وكان لهذه الأسرة سلطة مركزية ونظام اقتصادي. وكانت المراكز الرئيسية من نصيب افراد الأسرة الحاكمة

كما أعطي حكام الأقاليم شيئاً من الاستقلال الذاتي. كما أرسلت بعثات تجارية إلى سورية والسودان.

أمـا الأسرة السادسة فقد صدت الغزاة الساميين. ثم ضعفت السلطة المركزية وأصبح حكم الأقاليم وراثياً فتفككت البلاد وساءت الأحوال.

ثم حكمت الأسرتان ٧-٨ الأقاليم فلم يستطيعوا مد نفوذهم أكثر من العاصمة منف، واستطاع حكام أهناسيا مد سلطانهم إلى القطاعات المجاورة وأسسوا الأسرتين ٩-١٠

وقد بدأ عصر الدول الوسطى مع الأسر ١١-١٢-١٣-١٤ وكان العصر الذهبي الثاني مع رقي العمران وخاصة قصور حكام الأقاليم. وفي عصر الأسرة ١٢ تم القضاء على حكام الأقاليم وقبائل الكوش والعناية بالري، كما بني سد حصرت به المياه، طوله ٤٠ كم

وبعد هذه الأسرة حل الضعف وهاجم الهكسوس مصر وكونوا الأسرتين ١٥-١٦، وتميز عهدهم بالتعسف والقهر

ثم بدأت نهضة جديدة مع الأسر ١٧-١٨-١٩-٢٠ وتمت العناية ببلاد النوبة وازدهرت بسبب الأعمال الحربية وتشييد المباني

وتعتبر الأسرة ١٨ أول من قامت بسياسة المعاهدات والتحالف في العالم القديم، حيث عقدت معاهدة مع بلاد الميثاني ضد الحثيين الذين استطاعوا فيما بعد بذر الانشقاق بين حكام الأقاليم.

وظهرت فكرة توحيد الآلهة في معبود واحد هو (آتون) واشتدت الخلافات الدينية مع آخناتون وإلهه آمون. ثم جرى إصلاح شامل للشؤون المالية والحد من انتشار الرشوة، وعادت الحروب مع الحثيين ساد بعدها السلام وانهارت دولة الحثيين

ثم بدأ العصر المتأخر وقد بلغت درجة سحيقة من الضعف والتفكك في حين كانت السودان مسرحاً لنهضة كبيرة قامت على أكتاف كهنة آمون الذين هربوا من مصر إلى السودان

وقد احتل الأشوريون مصر غير أن الأسرة الحاكمة عقدت معاهدة مع الليبيين لتخليص مصر منهم

ثم تشجع الاغريق للهجرة إلى مصر. ثم غزا الفرس مصر وأصبحت ولاية فارسية لقرنين من الزمن وعانت مصر منهم إلى أن دخلها الاسكندر المقدوني عام ٣٣٢، وقد احترم ديانتهم وقدم القرابين لها وتوجته مصر ملكاً عليها حسب التقاليد المصرية القديمة.

ثم بسطت روما سيطرتها على مصر وأصبحت مزرعة كبيرة لروما، ثم عمت الفتن والاضطرابات بين اليهود والاغريق في مصر

ثم أغارت زنوبيا على مصر وانسحب جيشها. ثم دخلت المسيحية مصر مع الرومان وانتشرت الرهبنة

وغزا الفرس مصر وسورية واستولوا على الاسكندرية وانسحبوا، وعاد الرومان لحكم مصر إلى أن دخلها المسلمون ٦٣٩.

٧ - الهند

الحضارة الهندية قديمة تعود إلى قبائل الدراويين عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد، ودخلتها القبائل الآرية في عام ١٥٠٠ قبل الميلاد وأقاموا حضارة برهمية تشكلت فيها الأصول الأساسية للمذهب الهندوسي ثم ظهرت البوذية والجينية في القرن ٦ قبل الميلاد ثم ظهرت الامبراطورية المكدية

ثم قام الاسكندر الأكبر بغزوه لشمال الهند. وأصبحت البوذية دين البلاد مع أشوك وبرزت الثقافة الهندوسية مع حكم أسرة جوبتو وعهد هرش ثم نشأت ممالك تحت سيطرة الراجبوتيين الذين حاربوا بعضهم بعضاً ما مهد للفتح الاسلامي.

٨ - الصين

تعتبر هشية أول أسرة حكمت الصين، والتاريخ المدون يشير إلى أن أسرة شانغ كانت أول أسرة حاكمة ثم أسرة شو و هان وتانغ وسونغ ويوان وفنغ ومنغ وتم بناء السور العظيم في عهد الأخيرة

وكانت عهوداً مثقفة واهتمت بالعمران والتوسع حتى اتصلت بالبرتغال مع اكتشافات فاسكو دي غاما ثم حربها مع بريطانيا التي سميت حرب الأفيون ثم قامت الحرب الصينية اليابانية ثم دخولها إلى جانب الحلفاء ثم استيلاء الشيوعيين على الحكم

وقد اعتمدت الصين على تعاليم كونفو شيوس وهي نظام أخلاقي قاعدته الولاء للعائلة والطاعة والوسطية وعدم التطرف وقد استمدت هذه التعاليم مبادئها من المعتقدات الدينية السائدة

وتنازعت مع الطاوية والبوذية وظهرت الكونفو شيستية الجديدة التي عارضت التأمل والهدوء ودعت إلى اكتساب المعرفة

وتقوم على أربعة مبادئ : العلم الغزير - السلوك الحسن - الطبيعة السمحة - العزيمة القوية - وتتلخص كلها بالعدالة.

٩ - اليابان

يروي التاريخ التقليدي الياباني بأن أول امبراطورية أسسها الأمبراطور جمو، سليل آله الشمس، غير أن عشيرة ياماتو، وبدور وتصميم من كبير الكهنة قد أسست دولة اليابان

واقتبست الكثير من الحضارة الصينية ثم دخلت البوذية غير أن سلطة الحكومة قد اضمحلت في القرن السابع الميلادي إلى أن صار يورينو مومينا موتو سيد اليابان، وكان لقبه الشوجن

ثم وصل البرتغاليون إلى اليابان، وأدخل القسيس فرانسيس زائير المسيحية، ثم غزاها المغول. ووقعت حرب أهلية استمرت ٢٥٠ عاماً، واتخذ آياسو لقب شوجن وحكمت أسرته اليابان ٢٥٠ عاماً

وفي منتصف القرن ١٩ استعاد الامبراطور سلطته مع أول انفتاح لاستقبال النظم الغربية التي بدأت بزيارة أسطول أمريكي صغير.

١٠- الحضارة الإسلامية

الإسلام هو نظام حياة للفرد والمجتمع ويقوم على التسليم واخلاص العقيدة لله تعالى ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، الذي دعا الناس في مكة المكرمة ثم هاجر مع أصحابه إلى يثرب ثم دانت له الجزيرة العربية بأسرها

وانطلقت جيوش خلفائه الراشدين والأمويين والعباسيين نحو الشمال ففتحت الشام والعراق وايران ومصر ثم ارمينيا وأفريقيا ثم أفغانستان حتى حدود الصين ثم الهند كما تتابع الفتح في شمال أفريقية ثم أسبانيا وجنوب فرنسا. وتوقف الفتح فترة

ثم أسس العثمانيون دولتهم في تركية واحتلوا القسطنطينية ثم القرم وجزر بحر ايجة وأجزاء من ايطاليا وقبرص وكريت ثم بلغراد والمجر والبوسنة والهرسك وبلغاريا والبانيا ورودوس وتوقف الفتح عند فينا.

وغزاها المغول والصليبيون فترة طويلة امتدت أكثر من مائتي سنة ثم دابوا في المنطقة ولم يبق منهم إلا بعض الآثار والروايات

ويفضل رجال الدعوة والتجار انتشر الإسلام في الشرق الأقصى الملايو وجزر الهند الشرقية وجزيرة سومطرة وجاوه، وأسس المسلمون مدينة ملقا ثم وصل الاسلام إلى سيام والهند الصينية. كما وصل التجار المسلمون إلى الصين وكانتون وكوريا

ودخل الإسلام أفريقيا عبر الصحارى إلى النوبة والسودان ثم إلى غانا وتكرور ومالي وسنغاي وتمبكتو وبحيرة تشاد ونيجيريا.

وتمتاز الحضارة الإسلامية بعدد كبير من العلماء والمفكرين في جميع المجالات الدينية والثقافية والفكرية والعلمية في الحقول المختلفة، خلال تاريخها الطويل، وينتمي هؤلاء إلى جميع الأقطار الإسلامية.

١١- اليـونان

أقـام البـلاسـجيـون في اليـونان و وفـد عليـهم أفـواج من الاغـريق من الآخـيين ثم الأيونيـون ثم الآيوليـون وأسـسوا عـدة مـدن وظهـرت الحضـارة المينونيـة في كريت وانتشـرت في البلقان وجـزر الكيكلاند وطروادة وميكيني والمينونية نسبة للقب الحاكم (مينوس)

وقامت علاقات تجارية بين مصـر وكريت ثم نشأت الحضارة الميكينية التي تأثرت بالحضارة المينونية أو الايجية وكان لها مركزان كريت وميكيني وتدهورت بسبب أفواج البدو الدوريين

وشكلت طبيعـة اليونان وحدات اقتصادية صغيـرة وظهـرت المئات من المدن الحرة المستقلة المتنازعة فيما بينها كأثينا واسبرطة

وتقـدمت الحـضـارة الاغـريقـيـة بهـذا التنافس كـمـا نضح التـفكيـر السيـاسي. ولم تعـرف الوحدة أو التقارب إلا أمام الغـزو الخارجي كـأزمة الحروب الفارسية ثم الغزو الروماني.

وأثرت أشعار هوميروس في الحضارة الأغريقية، ووجهت الاغريق نحو ارتياد البحار فأنشأت مستعمرات كثيرة على البحر الأسود والبوسفور ومرمرة والدردنيل وتراقيا وجنوب ايطاليا وصقلية وجنوب فرنسا وأسبانيا وشمال أفريقيا ولا ترتبط مستعمراتها معها إلى من حيث الدين والحضارة.

وكـان لانتـصـار الأغـريق على الفـرس أثر في ازدهار الآداب والعلوم والفنون

كما أدى انتصار اسبرطة على أثينا أن أصبحت أثينا راعية الحضارة الاغريقية فبرز فيها الكثير من الشعراء والكتاب والمثاليين والفلاسفة وأشهرهم سقراط وأفلاطون وأرسطو

وأخيراً خضعت للحضارة الرومانية التي انقسمت إلى غربية وشرقية

وظهرت الحضارة الهيلينية التي بدأت بموت الاسكندر الأكبر وانتهت باستيلاء روما على مصر وكانت قد قامت على أنقاض الامبراطورية المقدونية

وأثمرت في العلوم والفلسفة والآداب ثم توقفت مع نزاع الشرق ضد الغرب والاستيلاء على مصر. وتمسكت الدولة الاغريقية بواقع انفصال المدن

أما فكرياً فقد ظهرت فكرة العالمية ووجود عالم واحد. وتميزت هذه الفترة بانتشار التعليم واستيقاظ العواطف الإنسانية واتساع الفارق بين الفقراء والأغنياء مما أدى إلى اضطرابات اجتماعية كما ظهرت مذاهب الرواقيين التي تدعو إلى المساواة والإخاء.

١٢-١ الرومان

كانت روما قبل تأسيسها مركزاً تجارياً تلتقي فيه شعوب اللاتين والسابيين والأتروسكيين وتشمل سبعة تلال أسسها رومولوس عام ٧٥٣ قبل الميلاد وحكمها عدة ملوك حتى طردهم الرومان وأسسوا الجمهورية الرومانية وبسطوا حكمهم على الدول اللاتينية المجاورة

ثم دمر الغال روما عام ٣٩٠ قبل الميلاد ثم عادت ثانية إلى قوتها وواجهت تحدي قرطاجة في الحروب البونية ثم توسعت نحو شرق مقدونيا وسورية ومصر وقبرص كما أخضعت الأغريق

وقد ظهر فيها الغنى الفاحش والفقر المدقع وظهر فيها صراع الطبقات مما أدى إلى ظهور التشريعات الاقتصادية من خلال حكومة السناتو

وقد كان عدد أعضاء مجلس السناتو ١٠٠ عضو ولكن النظام الدستوري قد تزعزع

وظهر أيضاً الجيش القوي الذي يدين لقائده، وبدأ نزاع القادة العسكريين حتى ظهر أغسطس

ثم أعيد بناء روما وظهرت العناية بالآداب والفنون وعهداً طويلاً من السلام.

ثم أحرقها نيرون الذي توفي في ٦٧م مع ظهور المسيحية. ثم أعيد بناؤها. وبعد زمن أصبح الحرس الامبراطوري يقوم بدور رئيسي في تنصيب وعزل الأباطرة

وخسرت روما مكانتها. وفي العصور الوسطى رافقت روما تاريخ البابوية حيث استعادت مكانتها في بعض الأوقات

أما في عصر النهضة فقد تم تجميل المدينة بأيدي فنانين. ثم تنازعت روما مع الدول من جيرانها حتى تم توحيد ايطاليا وتنازل البابا عن سلطاته الزمنية.

١٣- الحضارة الغربية (الأوربية - الأمريكية)

تعتبر الحضارة الغربية الأوربية الوريثة للحضارتين اليونانية والرومانية وقد ظهرت في أوربا القومية والرأسمالية، والإصلاح الديني البروتستانتي كما عمت أوربا الحروب الدينية

وبدأت النهضة بايطاليا مع الفنون والآداب والعلوم الإنسانية وقد غزت فرنسا ايطاليا وتوسعت فرنسا في مناطق عديدة

أما المانيا فقد عنيت بالتربية والتعليم والثقافة وعرفوا فن الطباعة وعمت آلات الطباعة أوروبا حتى أصبح في اسبانيا وحدها أكثر من ٣٠٠ مطبعة

وكانت فرنسا واسبانيا ترتبطان دينياً وثقافياً وتنافسان ايطاليا وقد توسعت فرنسا في الجزر الايطالية أما اسبانيا فقد ارتادت البحار وقد بدأ التوسع العثماني في أوربا

ثم ظهر الإصلاح الديني البروتستانتي في ألمانيا وأوربا ومع ظهور الأسطول البحري البريطاني خرجت انجلترا على كنيسة روما ثم ظهرت امبراطورية شارل الخامس وضمت أسبانيا والأراضي المنخفضة وألمانيا ونابولي ولمباردي

توازنت الكاثوليكية والبروتستانتينية بين الدويلات في ألمانيا وانتشرت في فرنسا الحروب الدينية والأهلية

وقامت الجمهورية الهولندية وانتشر الأسطول البحري الأسباني (الارمادا) وتدمير انجلترا له

ثم وقعت حرب الثلاثين عاما بين الدويلات الألمانية وجيرانها والتي انتهت بمعاهدات ويستفاليا وقد سجلت انجلترا نجاحاً في حركة الإصلاح الديني والتمسك بالنظام البرلماني وخضعت انجلترا بعد ذلك لحكم ديكتاتوري بزعامة أوليفركرمويل

أما في فرنسا فقد ظهر لويس الرابع عشر الذي توسع في أوربا مستخدماً الروح القومية الفرنسية العسكرية كما اشتدت حروب الوراثة في أوربا.

ثم شهدت فرنسا وانجلترا ظهور المفكرين الذين مهدت أفكارهم للثورة الفرنسية مثل فولتير وراسين ومونتسكيو وجان جاك روسو

ثم وقعت الحرب الشمالية التي بدأتها السويد ضد الدانمارك وبولندا وعمت الدول الأوربية وروسيا التي كانت قد بدأت بنهضة مع بطرس

كما بدأت تظهر الخصومة الشديدة بين بروسيا والنمسا وقامت حروب طويلة بينهما وحروب حول التجارة بين انكلترا وخصومها

وكما وحدت الكاثوليكية بين فرنسا واسبانيا فقد وحدت البروتستانتية بين بروسيا وانكلترا في حرب السبع سنوات التي أخرجت فرنسا من كندا والسنغال والهند وحلت محلها انكلترا

وفي الوقت الذي ازدهرت فيه أعمال الصيرفة مع تأسيس بنك انكلترا نمت فيها الصناعات بكل أنواعها مثل الخزف والزجاج والسفن

وظهرت اختراعات كالآلة البخارية، كما شاع استخدام الفحم كوقود وتحسين الزراعة والنباتات وصناعة المنسوجات وخاصة القطنية وتوالت المخترعات كالمكوك وآلة الغزل

وبعد قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩، التي نادت بشعاراتها الحرية والعدالة والمساواة، عمت أوروبا الثورات الداخلية الشعبية ثم تحولت كثير من دولها الى الحكم الديمقراطي سياسياً والنظام الحر اقتصاديا

كما استقلت دولها قومياً وتعرضت امبراطورياتها للتفكك القومي وذلك عبر حروب مع دول غير أوروبية وحروب وفتن داخلية تم فيها توحيد بعض الدول كايطاليا وألمانيا

وبعد ذلك وقعت الحرب العالمية الأولى حيث شاركت فيها ومع نهايتها الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تعتبر البناء الداخلي هو كل اهتمامها

وقامت الثورة البلشفية الروسية، وبدأت الولايات المتحدة تظهر كدولة كبرى عندما تم تمزيق مبدأ الرئيس مونرو القائل باعتبار القارة الأمريكية هي المجال الحيوي للولايات المتحدة دون غيرها

ووقعت الحرب العالمية الثانية بسبب أطماع ألمانيا النازية وانتهت هذه الحرب بدخول الولايات المتحدة والقاء القنبلة الذرية علي هيروشيما ونياكازاكي اليابانيتين

وبعد الحرب اقتسم النفوذ في العالم عملاقان كبيران هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الروسي، وهذا الأخير تفتت وانفصمت عراه بسبب فشل نظامه الشيوعي الاقتصادي الإلحادي

وتفردت الولايات المتحدة على قمة الهرم العالمي وقامت بفرض نفوذها على العالم،

وهي تطرح مبادئ العولمة والانفتاح على المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية

وعلى أسس ومبادئ الحرية الفردية والعدالة والمساواة بين الأفراد والشعوب والدول والمنظمات في ظل رعاية القانون الدولي والقرارات الدولية الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية المعترف بها

وقد قام عدوان كبير بالطائرات المدنية المأهولة بالركاب على عمارات تجارية ورسمية عالية في الولايات المتحدة الأمريكية (واشنطن - نيويورك)

وكان عملاً إرهابياً كبيراً بكل المقايس ذهب ضحيته أكثر من ٤٠٠٠ إنسان

وكانت ردة الفعل الأمريكية متشددة إلى حد بعيد

وأعلنت الحرب على الإرهاب بكافة أشكاله وألوانه وجميع حيثياته المشجعة من إعلام وثقافة وغلو في المعتقد.

وخصت الولايات المتحدة الإسلام والمسلمين بالاتهام

ومازالت هذه الحرب قائمة حتى الآن، يشتد أوارها حيناً، ويخفت لظاها حيناً آخر.

وتمتاز الحضارة الغربية (الأوروبية - الأمريكية) بكثرة علمائها ومفكريها منذ الحضارة الاغريقية حتى الآن في جميع المجالات الدينية والثقافية والعلمية بحقولها المختلفة

الفصل الثاني

مميزات وعناصر الحضارة

بعد استعراض هذه الحضارات يتبين بأن هنالك عناصر لابد أن توجد لتكوين حضارة، ولن نستطيع أن نعرف ماهية الحضارة إلا بعد استعراض هذه العناصر:

١ - الأعراف والتقاليد :

هي التي يخضع فيها السلوك لمعايير تقليدية طابعها العام القبول لها، وليس بسبب الجزاء أو القهر فالامتثال للعرف يتم في الغالب بطريقة آلية، وهذا الخضوع التام للأعراف والتقاليد يأتي حسب قوة العادة

ويرى العالم الاجتماعي شابيرا آن الحياة في المجتمع البدائي تدخل كل فرد في التزامات محددة مع الآخرين يحصل بمقتضاها على حقوق معينة حسب التعلم والتعود منذ طفولته المبكرة

وليس فقط في المجتمعات البدائية كما يرى غيره مثل بيركه، حيث أن الحكمة تتمثل في اتباع تقاليد المجتمع

هذا من حيث السلوك الفردي، في حين تدخل الأعراف والتقاليد في كل حيثية اجتماعية كطريقة الأكل واختيار أنواعه وطرق طبخه وإعداده وتنظيم المسكن كالغرف والأثاث والملابس، والأعمال والأعياد والمناسبات وطقوس الزواج

وبالطبع تختلف الحضارات فيما بينها فلكل حضارة طرق خاصة تتعصب لها وتتمسك بها وتظنها الأفضل عما لدى الحضارات الأخرى

وهذا ما يمكن القول فيه بطغيان العرف وقوة العادات التي لا تقهر وبالطبع ساهمت الأعراف والعادات والتقاليد بخصوصية كل حضارة بتوفير ميزات تتمسك بها وتتعصب لها.

٢ - الديـــــن

لكل مجتمع دين ولكل حضارة دينها أو أديانها، ويرى فوستيل ديكولانج ان الدين هو نظام موحد للمعتقدات والممارسات المتعلقة بالأشياء المقدسة أي الأشياء التي يتعين احترامها وتقديسها أو تجنبها وتحريمها

ووظيفة المعتقدات والممارسات السائدة في مجتمع معين هي التوافق بين أولئك الذين يؤمنون بها

وإذا اتفق المؤمنون وغير المؤمنين من علماء الاجتماع على أهمية الدين في المجتمع فتجب الإشارة إلى أن الدارسين من غير المؤمنين يرون أن فكرة الروح وهي السمة الأساسية في المعتقدات الدينية قد نشأت في عقل الإنسان البدائي

وأن الدين قد نشأ نتيجة سوء تفسير الأحلام والموت أو نتيجة الخوف والقلق اللذين تثيرهما الظواهر الطبيعية وذلك عند تايلور وسبنسر وماركس

في حين أن أوغست كونت أظهر إيمانه بوجود دين للإنسانية

وقد اهتم ماكس فيبر بدراسة المذاهب الدينية لجماعات اجتماعية معينة وتحليل النتائج الاجتماعية التي أحدثتها اتجاهات معينة على الحياة والمشتقة من النظم الدينية

كما اهتم علماء الاجتماع بدراسة اتجاهين أساسيين، الأول: خصائص المذاهب الدنية وعناصرها وأهميتها الاجتماعية، والثاني: العلاقة بين المذاهب الدينية والطبقات الاجتماعية

إن لكل حضارة إيمانها أوعدم إيمانها أي معتقدها الذي يشحذ همتها نحو التوحد والتلاحم. والدين هنا الايمان بالغيبيات، وبأن هنالك قوة كبيرة تحرك العالم والمخلوقات

وتجدر الاشارة إلى أن الاسلام وإن انطلق من الايمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم فهو أيضاً نظام حياة للفرد والمجتمع وليس ديناً كأديان الحضارات الأخرى.

٣ - الأخلاق :

تعرض المفكرون أمثال هوبوس ولوستر مارك لمصدر الأخلاق، وان ختلفا حسب اختلاف تصوراتهما فقد اتفقا في تحليلهما على تطور الاخلاق، وقد تناسيا أن القواعد الأخلاقية تتماثل فيما بين المجتمعات المختلفة كالبدائية والمتحضرة

واتجه علماء الاجتماع إلى ربط الأخلاق بعلم عادات الشعوب، والقول بالنسبية الأخلاقية وتنوعها كتنوع المعتقدات الأخلاقية داخل كل مجتمع

وإذا كان الدين هو المؤثر الأول في القواعد الأخلاقية فان علماء الاجتماع الغربيين قد فصلوا فيما بين الدين والأخلاق

وأصبح الدين لديهم ما هو إلا اهتمام فردي، وذلك لضعف الإيمان الديني بشكل عام لديهم، وأصبحت الأخلاق عندهم أمراً اجتماعياً.

ثم صارت الاختلافات الأخلاقية مجرد اختلافات سياسية.

وإذا كانت القيم الأخلاقية العليا واحدة في كل المجتمعات والحضارات، كما يعتقد المؤمنون عامة،

فإن حيثيات هذه القيم المتمثلة في السلوك الفردي والاجتماعي تختلف من حضارة إلى أخرى،

كما أنها من الأساسيات في تكوين الحضارة، ولم أفرادها في تجانس واحد.

٤ - القانون :

هو القواعد الصادرة عن سلطة واحدة، ومعترف بها، وتفرض بمقتضاها عقاباً وجزاء. وقد ميز بعض الاجتماعيين بين المجتمعات البدائية التي تحكمها العادات الاجتماعية، والمجتمعات المتحضرة التي يحكمها القانون.

ويرى جيرمي بنتام بأن المبدأ الذي يجب أن يحققه القانون هو الحصول على أكبر قدر من المنفعة لأكبر عدد من الناس.

في حين يرى ديسي أن التشريعات الإصلاحية البنتامية قد استهدفت معالجة صور عدم المساواة الناشئة عن المنافسة الحرة.

وقد أدت التغييرات القانونية من الحرية الفردية إلى نوع من الجماعة أو الفئة. وفيها لا يجد الإنسان العادي عظمته في ذاته أو فيما يعمل وإنما في المؤسسة التي يخدمها.

وقد ميز القانون بين صاحب المشروع المستقل، الذي لا يخضع للمعايير، كما في القرن التاسع عشر،

وإنسان التنظيم الذي يخضع لتوجيه الآخرين، أي الفرد النمطي العادي في مجتمع الأعداد الكبيرة.

وقد لجأت بعض المجتمعات أو الدول إلى الأخذ بمجموعة قوانين اجنبيُة تخلصاً من القوانين العرفية أو التقليدية لفصل القانون عن الدين والأخلاق.

وفي هذا السياق يرى بعض علماء الاجتماع بأن الفرد هو وحدة التعامل القانوني الأساسية في المجتمعات المتحضرة بعد أن كانت العائلة هي وحدة التعامل في المجتمعات القبلية.

ويقوم القانون بدوره اليوم على نحو أكثر حياداً في تنظيم الصراعات بين الافراد أوالجماعات

ويجب القول بأن القانون القديم والبدائي لا يميزان بشكل واضح بين المبادئ والمذاهب الدينية والأخلاقية،

كما لم تكن سيادة القانون تتميز عن سيادة الدين.

وما زال القانون في الغالب يعتمد على الأخلاق التي تفسر أحياناً تفسيراً دينياً.

ولا تخلو حضارة من الحضارات من قانون عرفي أو بدائي أو أخلاقي ينظم المجتمع.

٥ - التربيـــــة :

للتربية اهمية خاصة في كل مجتمع وحضارة وقد أشار هلفتيوس في معرض حديثه عن التربية إلى أن الناس يولدون جهلاء ولكن ليسوا أغبياء،

والتـربيـة هي التي تحـولهم إلى أغـبـيـاء بسـبب التلقين الفـوضـوي للمعلومات.

والفارق بين التربية في المجتمعات البدائية والمجتمعات الحديثة أنه في الأول يتركز الاهتمام بنقل أسلوب معين في الحياة

أمـا في الثانية فيتركز الاهتمام بوفرة المعلومات المتاحة علمياً وتوقع التغيير دائماً

وتقوم التربية الحديثة بكل أسف بتوجيه الانتقادات إلى الأفكار التي تروج لها المذاهب الدينية والأخلاقية

مستخدمة تطور العلوم من وجهة نظر المفكرين المحدثين وأصبحت التربية إلى جانب التعليم الرسمي في وضع مسيطر اجتماعياً وشكلاً جديداً لتنظيم السلوك.

٦ - التغيير الاجتماعي:

التغيير الاجتماعي صفة دورية في كل حضارة ويتطلب وصف التغيير الاجتماعي وصفاً تاريخياً كالتغييرات التي طرأت على الطابع العام للأسرة والنظم العائلية والسياسية والمعتقدات التقليدية والاتجاهات الدينية والأخلاقية والثقافية

ودراسة أهمية دور الأفراد في إحداث التغيير الاجتماعي. ومعرفة الرغبات والقرارات الواعية للافراد وأفعال الفرد المتأثرة بالظروف المتغيرة

وكذلك المؤثرات الخارجية كالاتصال الثقافي أو الغزو الثقافي، وكذلك الأحداث العنيفة كالغزو والأمراض المعدية والأوبئة.

ويبدو أن التعليم الرسمي يدعم الاستقرار لأنه يقوم بنقل الأرث الاجتماعي المتراكم إلى الأجيال الجديدة.

كما أن هنالك نمو المعرفة وحدوث الصراع الاجتماعي.

ولابد من الاعتراف بالتأثير الشخصي لعظماء الرجال في مجال الأخلاق والدين والسياسة والاقتصاد

وتعود عظمتهم القيادية لصفاتهم الشخصية التي يفرضون بها على الأحداث طابع قيمهم الخاصة.

٧ - اللغة:

رافقت اللغة الانسان منذ وجوده، كما كان ناطقاً ومفكراً منذ البداية ولا حاجة لبرهان ذلك،

واذا كان الانسان موجوداً قبل اللغة فانه لم يكن شيئاً مذكوراً والانسان مخلوق اجتماعي لم يكن مفرداً إلا يوم خلق أو ولد

بل هيأ روح واحدة خلق منها زوجها وبث منها رجالاً ونساء كثيرا، هذا هو الواقع

اللغة وسيلة التواصل بين الأفراد والشعوب والحضارات، وكل فرد له أسلوبه الخاص في التعبير والكلام، ولكل فئة اجتماعية حضرية، أو قبيلة بدوية كلماتها ومفرداتها ولهجتها التي تميزها

ثم لكل شعب لغته الخاصة، وتلتقي لغات العالم في اقتباس الحروف و لكلمات ثم بالترجمة

اللغة هي وعاء التواصل والتفكير والرأي والثقافة كما أنها وعاء الشعر وفن التخاطب، وهي أيضاً وعاء الحكمة والأخلاق، ولذلك كله هي وعاء لحضارة

ويمكن أن يقال أن لا حضارة بدون لغة، ولذلك كله اللغة عنصر ضروري حتى لتواجد الحضارة عند كل الشعوب

وكلما كانت اللغة قابلة للتطور والاشتقاق بمرونة والتزام، كانت لحضارة واضحة المعالم، سريعة الانتشار.

كما أن الحضارة الناجحة تجعل من اللغة مخلوقاً مستقلاً، ينمو ويتطور ويتأثر بمرور السنين، فتصبح للكلمات وللعبارات دلالتها العميقة التي يحركها الوجدان والمشاعر، فتصغر أمامها أدوات الترجمة، وتتضاءل عندها لمعاني

فالكلمة التي تستعمل منذ مائة عام، تختزن من المعاني، ما تمليه مائة عام. أما الكلمة التي يزيد عمرها عن ألف وأربعمائة عام، فانها تختزن من لمعاني ما قيمته ألف وأربعمائة عام،

فمن ذا الذي يستطيع أن يقدم بلغة أخرى، ترجمة دقيقة واضحة

وجزلة، وبأسلوب معاصر للآية القرآنية الكريمة ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾الحجر-٩، ويختصر فيه، ما اكتسبته من معان خلال تاريخها الطويل.

اللغة تتحول إلى مستودع للحضارة، تحكي قصتها، وتروي حكايتها، وتختزن أسرارها، وتوضح معالمها، وتواكب انتشارها

والعكس صحيح فإذا كانت اللغة جافة جامدة، فانها ستعين على فناء الحضارة أو قوقعتها وحصرها في حدود ضيقة إلى أن تموت في أرضها.

٧ - الحـــروب :

عرفت الحضارة الإنسانية الحروب الضارية في جميع مراحلها، بسبب الخلافات حول مصالحها، والصراع على السيادة والتوسع والنفوذ

ومـا من حضارة إلا وخاضت الحروب، حتى يمكن القول أنه لا حضارة دون حروب، فالحروب بكل أسف، هي وسيلة التواصل، والعنف هو السبيل الوحيد لفرض النفوذ

أمـا الحوار فقليلا ما يتبع ولا نستغرب ذلك فالروايات الدينية تجمع على قصة نزاع قابيل وهابيل وقتل أحدهما للآخر حين لم يكن غيرهما يعيش على وجه الأرض

فالقتل والعنف هما مختصر حضارة الإنسان، ولا فرق في ذلك بين حضارات القديمة والحديثة

بل لعل الحضارات الحديثة أشد فتكا ووحشية، بما تملكه من و سائل وتقنيات. قادرة على اغتيال شعوب آمنة لا حول لها ولا قوة، مستخدمة الأسلحة الذرية والنووية والكيميائية والجرثومية.

٩ - الآثار والعمران:

تمتاز الحضارة بخصوصية عمرانها وآثارها التي تتحدث عنها. وأهم ما تركته الحضارات القديمة، المعابد والمقابر إلى جانب القصور والسدود والتحف والآواني التي استخدمت في شتى العصور

ورافقت هذه الآثار الكتابات والرسومات، التي تروي لنا الأساطير والطقوس الدينية ورموز الآلهة العديدة،

وتتميز كل حضارة بآثارها. ويجب القول بأن الآثار المكتشفة والتي ما زالت مغمورة تحت الأرض مصدر مهم لتأكيد أو نفي الروايات التاريخية و أحاديث المؤرخين

وان الآثار الكثيرة التي تدارسها علماء الآثار، تدل على أن الإنسان بما حباه الله تعالى من نعمة وخير، قد انتقل عبر العصور متطوراً نحو الأفضل، وترك في كل عصر آثاراً تدل على عظمته وحسن تصرفه مع نفسه ومع الطبيعة والبيئة

وأنه كذلك تجنّي أحياناً أخرى على نفسه وعلى الطبيعة، وغلبته أدواته على تغييرها والإساءة إليها

غير أن العمران ما زال يشكل جزءاً مهماً في كل حضارة عرفها الانسان.

١٠- الفنون:

دخلت الفنون في كل الحضارات، وقد اسست كل حضارة فنها بطريقة خاصة بها. فقد عرفت الحضارات الغابرة الآداب والرسم والنحت والموسيقى والتمثيل والمسرح والغناء والرقص،

حتى اختلط الفن بأعرافهم وتقاليدهم وبأديانهم، وكان وسيلة راقية من وسائل تعبيرهم وتصوير عواطفهم ووجدانهم

كما ظهرت هذه الفنون في آثارهم وعمرانهم

وقد تحدثت الحضارات من خلال قصصها وفنونها، عن نفسها بلغة شعبية، تتسم أحياناً بالسخرية والهزل، وأحياناً أخرى تظهر الجدية والمعاناة.

ولعلنا نجد فنون اليوم، لا تختلف عن فنون الحضارات التي سبقتنا، إلا من حيث الأدوات التي تستخدمها، والتقنيات التي تعنى بتطويرها.

أمـا الإنسان، فيبقى جوهره كما هو من حيث تفهمه ببداهة، لمواطن الخير، ومواقع الشر.

وتختلف الحضارات فيما بينها بطريقة تعبيرها في كل فن على حدة.

١١- النظام السياسي والاقتصادي:

لكل جماعة بدوية أو حضرية نوع من النظام السياسي والاقتصادي يحافظ على العدل والأمان والسلام، ويحمي مصالح الجماعة،

كما يحكم التعامل بين أفرادها من جهة ومع الجماعات الأخرى.

وتختلف الأنظمة السياسية والاقتصادية حسب نمو هذه الجماعة وتطورها بدءا من المجتمع البدائي حتى المجتمع الحضري.

وذهب هوبوهوس وهويلر وجيتربرج في مؤلفهم (الثقافة المادية والنظم الاجتماعية عند الشعوب البدائية) الصادر عام ١٩١٥ إلى تصنيف أكثر من ٤٠٠ مجتمع بدائي حسب مستوياتها الاقتصادية

ولا يمكن أن نرى شعباً من الشعوب إلا ولديه حاكم أو قيادة، وتتميز الحضارات بانظمتها السياسية والاقتصادية

وإذا لم يستطيع هذا النظام القيام بمهماته الرئيسية انتشر الظلم والفساد وتردت الحياة الاجتماعية.

وقد ظهرت الأنظمة الديكتاتورية والديمقراطية عند جميع الحضارات في اطوارها المختلفة، وتراوحت في التطبيق من عصر إلى عصر

فالديمقراطية ليست وليدة جديدة مع المجتمعات الحديثة بل عرفتها الامم القديمة،

فالانسان في المجتمع يبقى كما هو ولكن أدواته قابلة للتغيير والتجدد والتطور.

الفصل الثالث

نتائج واستدلال وتعريفات

- من الصراع الحضاري إلى الحوار

الانتصار الثقافي

بالرغم من أن الرومان هم الذين غزوا اليونان واحتلوا أراضيهم، إلا أن الثقافة اليونانية قد صبغت الامبراطورية الرومانية بصبغتها اليونانية.

وإن اجتاحت الجيوش الرومانية الشعب اليوناني فان الثقافة اليونانية هي التي انتشرت وأصبحت ثقافة عالمية.

وقد اجتاح المغول بلاد العالم ثم بلاد المسلمين وقد هدم هولاكو بغداد، غير أنه أعلن إسلامه ودخل المغول معه في الإسلام واستظلوا بحضارته.

الترجمـــة

وفي القرن الرابع الهجري، نشطت أعمال الترجمة من قبل المفكرين الإسلاميين، فانتقلت أفكار سقراط وأفلاطون وأرسطو، وسائر المفكرين اليونانيين في كل مجالات العلم إلى اللغة العربية.

مع أن المسلمين هم الذين قاموا بالفتح، وحملوا معهم دعوتهم الإسلامية، إلا أنهم نشطوا في اكتساب الفكر اليوناني.

وكان المسلمون من شتى القوميات، كالعرب والفرس والأتراك، قد نقلوا الكثير من المعارف، وألفوا الكتب وطوروا في كثير من العلوم والأفكار.

وأضافوا علوماً جديدة كالجبر والبصريات، وبقيت كتبهم تدرس عند الأوربيين حتى القرن التاسع عشر الميلادي.

ولم يتعرف الأوربيون على أفكار أرسطو اليوناني إلا عن طريق ابن رشد، الا كتابه (السياسة) الذي ترجم من اليونانية إلى الانكليزية في مطلع القرن العشرين.

وكما تداخلت التشريعات الإسلامية، في عادات الشعوب وتقاليدها، وأصبحت جزءا لا يتجزأ منها،

فان هذه التشريعات، قد تداخلت مع القوانين الأوربية، منذ أن وضع القانون المدني الفرنسي في عهد الامبراطور نابليون بونابرت،

وتسربت هذه التشريعات، من العديد من المصادر الإسلامية وخاصة كتاب (المدونة) للامام مالك بن أنس،

ثم إلى سائر القوانين الأوربية الحديثة، التي نقلت موادها عن القانون المدني الفرنسي الأول، والذي اعتمد بشكل رئيسي على المدونة.

الترجمة الحديثة

ثم ظهرت الترجمة الحديثة، في مصر وتونس وكثير من بلاد العالم الإسلامي، لنقل الكتب من الثقافة الأوربية إلى اللغات الإسلامية وخاصة العربية.

ودخلت بذلك الثقافة الأوربية والأمريكية في جميع مجالات التعليم بمستوياته كلها، في العالم الإسلامي.

ويمكن القول بأن تداخل الثقافات بشكل كبير، وتواصلها فيما بينها، يؤكد وحدة الإنسان وتكامل ثقافته خلال أطوار عديدة، شاركت فيها جميع الأمم البدائية والقديمة والحديثة.

الإعلام والحروب

كما أن الثقافة الغربية (الأوربية – الأمريكية)، التي فرضت سيطرتها علامياً عن طريق الانترنت والفضائيات والصحافة والكتب ومراكز الثقافة و تعليم كالمكتبات والجامعات،

فانها حتى الآن لم تسجل انتصاراً على كثير من الشعوب،

لأن الإعلام ووسائل التعليم، ما هي إلا وسائل زمنية لانتقال الثقافة،

تقابلها الحروب عند الحضارات القديمة كوسيلة للتواصل والانتقال حينذاك

لكن انتقال الحضارة أمر آخر،

لا علاقة له بهاتين الوسيلتين الحرب أو الإعلام،

فالانتقال الحضاري، ليس له إلا علامة واحدة،

هي قبول الحضارة الأفضل باضطرار ذاتي، واحتياج حقيقي، واندفاع حر صادق وعميق، عند أي شعب أو فرد.

التفاعل الحضاري

وتبقى جميع النزاعات الدولية أو الإقليمية بعيدة عن الصراع الحضاري،

على أنها نزاعات زمنية فيما بين الشعوب أو الدول أو الأفراد.

أمـا التفاعل الحضاري فلا يظهر إلا بعد حين، في مناخ هادئ، تستقر فيه الأمور، بعيداً عن الضغوط والقسرية.

ونشهد اليوم نزاعاً أو صراعاً أو حواراً، على مستويات مختلفة،

ولا ندري كنهه هل هو زمني أم حضاري.

وكيف ستستقر الأمور بين حضارتين، لهما جذور ضاربة في أعماق التاريخ الإنساني، هما الحضارة الغربية (الأوربية - الأمريكية) والحضارة الإسلامية،

فلكل منهما تاريخ وعظمة وإنجازات.

حضـارتان

فإذا كانت الحضارة الغربية تفخر بامبراطوريتها الرومانية القديمة، وبالامبراطوريات الغربية الحديثة البرتغالية والاسبانية والانكليزية التي لم تكن الشمس لتغيب عنها،

فان الحضارة الاسلامية تفخر بأرض الخلافة الواسعة الأرجاء، والتي ضمت مساحة واسعة جداً حول الأرض، تبدأ من بواتيه في فرنسا وتمر في الشرق الأوسط وحوض المتوسط حتى فينا،

كما تضم جنوب شرق آسيا حتى تصل عبر الهند إلى حدود الصين،

هذه الأرض الواسعة لم تكن الشمس لتغيب عنها.

لقد كانتا وما زالتا حضارتين ندَّين في تاريخ الإنسانية، حدثت بينهما كثير من المعارك والحروب،

كما صاغتا بينهما كثيراً من المعاهدات والاتفاقات، وما زال السجال والتوتر قائماً، يهدأ حيناً ويتفجر حيناً آخر.

الثقافة والمثقف

الحوار لا يملك ناصيته إلا المثقف، والثقافة هي المعرفة، بل المعرفة الشاملة الغزيرة، فمن يعرف أكثر يكون مثقفاً أكثر، ولكن هل تكفي كمية المعرفة لبناء إنسان مثقف؟!

إذا كان مقدار الثقافة وحده هو المقياس فالإنسان المثقف هو خزانة كتب.

لا يمكن أن تكون المعرفة الواسعة، عنصراً فريداً لتشكيل المثقف،

ولو عدنا إلى قواميس اللغة العربية، للبحث عن معنى كلمة "مثقف"، لوجدنا عنصراً آخر للإنسان المثقف.

المثقف هي صفة للرمح الذي ثبت في رأسه قطعة من الحديد المسنون كالشفرة، لاستخدامه في الحروب والصيد.

المثقف هو الرمح القادر على الاختراق وإصابة الهدف.

الإنسان المثقف هو الذي يتحلى بمعرفة واسعة، وقادر على اختراق الآخر،

والمتمكن في الحوار، ويعلم ما يؤمن به وما يؤمن به الآخر،

وهو الواثق من شمولية معرفته، ويدرك أماكن القوة ومواطن الضعف، في رأيه وفي الرأي الآخر.

من هنا تأتي قدرته على الحوار،

والمثقف حضارياً هو من يدرك الحضارة، التي ينتمي إليها أدراكاً عميقا مؤمناً،

كما يعرف معرفة تامة حضارة الآخر، يستوعبها ويهضمها، ويدرك فيها ما يتفق وما يختلف مع حضارته وثقافته،

وما يرفضه منها رفضاً قاطعاً،

وما يمكن أن يقبله وأن يتعايش معه سلماً.

المثقف هو من لا يتعرض للمفاجأة، أمام عناصر حضارة الآخر وأفكاره.

بل يمكنه مناقشته بهدوء وروية وموضوعية وتفصيل وشمول،

وباحترام وثقة ودون انفعال،

المثقف هو من يمتلك القدرة، على عرض ما لدى حضارته من أفكار وأسس أمام الآخر

ويصل معه إلى قناعات متقاربة.

الحـــوار

الحوار يعني الاستعداد للتنازل عن جزء من القناعات، ولا حوار دون هذا الاستعداد. أما الحوار مع التشبث بالرأي فيعني استحالة الحوار،

وإذا كان العقل هو الحد الفاصل للاقتناع، فليس من السهل على العقل تقبل التنازل،

وأما إذا كان الايمان المطلق يمنع التنازل عن القناعات فالحوار ضرب من المستحيل.

أما إذا كانت حيثيات الايمان المطلق،

تعطي إمكانية الاستعداد للتعايش مع الآخر، والقبول به بالتزام ومرونة، دون التنازل عن القناعة الإيمانية،

فهنا تكمن عظمة هذا الإيمان، وعظمة الحضارة التي تمثله.

الحضـــــارة:

الثقافة هي المبادئ الفكرية الأساسية الشاملة، التي تقوم عليها حياة شعب من الشعوب.

أمـا الحضارة كما يقول الفرد فيبر فهي المعرفة العلمية والتقنية ومدى سيطرتها على الموارد الطبيعية،

هـذا يعني أن الحضارة هي علم أدوات الإنسان.

وتقدم الإنسان مرهون بحضارته وثقافته، وعند الناس كما هو الشائع ثقافة القوم هي حضارتهم والعكس صحيح.

وكلمـا كانت الحضارة تحاكي حاجات الإنسان وتنظمها بوحي من ثقافته.

فإن هذه الحضارة ستكون قادرة على البقاء والتطور والاستمرار،

وإذا كانت بعيدة عن حاجات الإنسان، كانت أقرب إلى الاندثار والفناء.

الحضارة الغربية السائدة

من الحرية الفردية إلى العولمة:

الحضارة الغربية هي الحضارة الثقافية التي بدأت مع اليونان ومرت بالرومان وحطت رحالها في أوربا الحديثة ثم حملت المقود الولايات المتحدة الامريكية.

ولا يمكن لأي بحث أن يتغاضى عن هذه السلسلة، إذا ما أراد أن يتحدث عن الثقافة الحضارية عند الولايات المتحدة.

وتقوم الحضارة الغربية عموماً، على المبادئ التي طرحتها الثورة الفرنسية، وهي الحرية والعدالة والمساواة، كحقوق يجب أن يتمتع بها كل فرد في المجتمع بموجب إنسانيته،

وتدور الحضارة الغربية في كل مراحلها على هذه المبادئ.

أما في التطور التاريخي، فاننا نجد هذه المبادئ قد جرى معالجة تطبيقها سلباً وايجاباً في مختلف مراحل الحضارة، إذ نجد تطبيقاً للديمقراطية حيناً وللديكتاتورية أحياناً أخرى، كما نجد الغلو في الحرية الفردية على حساب المجتمع،

كما في التطبيقات الرأسمالية، أو الغلو في مصلحة المجتمع على حساب المصالح الفردية كما في التطبيقات الاشتراكية والشيوعية.

كما نجد أحياناً طبقة اجتماعية نافذة، على حساب بقية الفئات كطبقة الفرسان على سائر فئات المجتمع الإقطاعي.

الحرية الفردية تعني أن للفرد الحق بأن يفكر ويعمل ويبدي الرأي، ويختار ما يريد في أي مجال، دون تدخل من أي فرد آخر.

والحرية تعني أن الفرد يجب أن لا يتعرض إلى أي ضغوط، من أسرته ومجتمعه أو محيطه، وعليه أن يحترم حرية غيره.

كما أن إرادته حرة ما لم يخالف القانون، حريته هي حياته لا يتدخل بها أحد.

والعالم بأسره يعلم تماماً اعتزاز المواطن الأوربي أو الأمريكي بنفسه، وحرص وطنه عليه في أي أرض. المواطن هو أغلى ما تملكه الولايات المتحدة، وذلك لاحترامها الكبير لمبدأ الحرية الفردية.

أما العولمة الأمر الذي تطرحه الولايات المتحدة، فهي تعني العالمية، فالفرد ينتمي لنفسه وللإنسانية أو للعالم.

وفرضت الولايات المتحدة على العالم كله احترام الفرد، وطالبت العالم شعوب وحكومات باحترام حرية الفرد وحقوقه وإرادته.

والغاء جميع القيود من حوله الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية والحضارية.

ودعت إلى الانفتاح الإنساني، دون أي حواجز، وتشجيع التبادل الحر في جميع مجالات الحياة.

وهذا يعني انتقال الثقافات والحضارات والأفكار والمذاهب السياسية والدينية والسلع التجارية والأموال بين جميع الدول دون أي حواجز رقابية أو جمركية.

هذه هي العولمة من وجهة النظر الأمريكية.

والعولمة في حقيقتها تستهدف مسخاً جزئياً لهوية الإنسان من عدة وجوه

أولها طمس انتماءه لشعبه

وثانيها تزييف حضارته

وثالثها استنزاف مواردها

ورابعها تطويق ثقافته

بحيث يبقى الإنسان إنساناً لا ينتمي لمكان وهذا يسهل للدول الكبرى ممارسة تفعيل برامجها التجارية في أي زمان وعلى أي مكان.

وبالطبع تستطيع الولايات المتحدة، التصدي لكل من يخالف مطالبها، بما تملكه من قوة مالية واقتصادية وإعلامية وتكنولوجية، فهي الحامي الحقيقي لكل ما تسعى إلى توفيره للفرد الإنساني.

لا ريب أن الحضارة الأمريكية حضارة ناجحة، تحظى بالاحترام، ولكن يؤخذ عليها بعض النقاط، كما يسجل لها نقاط أخرى:

- **تغرق** هذه الحضارة في تأكيدها على حرية الفرد، إلى حد أنها تهمل المجتمع كشخصية اعتبارية، فلا مانع لديها أن يعارض الفرد حضارته أو ثقافته، التي نشأ فيها لصالح حريته الشخصية، التي يمكن تسميتها نزوة شخصية عابرة أحياناً.

- **تعطي** هذه الحضارة الفرد الحق بالتمرد على أخلاق حضارته، ومنها طاعته لأسرته أبيه وأمه بحجة الحرية الشخصية، وهذا ما تعترض عليه أغلب الحضارات والأديان.

- **تعتبر** هذه الحضارة أن المجتمع هو مجموعة أفراد، وحقوقه هي حقوق أفراده المختلفة، وتتناسى أن المجتمع له حقوق تتنافى أحياناً عن حقوق بعض أفراده. وهذا إجحاف ببعض حقوق المجتمع المقررة في جميع الحضارات.

- **تشن** هذه الحضارة حرباً خفية على الحضارات الأخرى، بحجة اعتداء هذه الحضارات على حقوق أفرادها، وتبيح لنفسها التدخل في الشؤون الداخلية للدول والحضارات الأخرى وتدعي في المقابل أن لكل حضارة احترامها وأن الحوار الحضاري أمر مطلوب.

- **القانون** في الحضارة الأمريكية والأوربية لا يرتبط بالأخلاق، فإذا تمكن الفرد من تحقيق ما يريد، بالتلاعب على القانون دون وازع أخلاقي، فهو لا يعتبر مرتكباً أثماً بحق المجتمع، المهم في المجتمع هو عدم مخالفة القانون بشكل رسمي و واضح أو لا يمكن أثباته.

- **تخفي** الحضارة الغربية سعياً للسيطرة على الحضارات والدول الأخرى وبالتالي تذويبها بالحضارة الأمريكية لأنها الحضارة الأقوى التي تملك زمام الأمور، فالحوار وسيلة لدخول الحضارة الأخرى والسيطرة عليها.

- **تطالب** الحضارة الأمريكية بالانفتاح وإزالة الحواجز، في حين أن الحرية تسمح للقوي بالسيطرة، والولايات المتحدة بصفتها الأقوى والأقدر، تكون المنافسة لمصلحتها، لا لغيرها من الشعوب والأفراد والدول، فالحرية ليست غاية بل وسيلة غايتها السيادة على العالم.

- **جميع** الحضارات سعت نحو العولمة فالأفكار الأمريكية في العولمة والحرية ليست جديدة، فقد كانت سائر الحضارات تسعى عن طريق الغزو، إلى السيطرة على العالم كله، ولكن الوسائل لم تكن كافية.

غير أن التقنية الحديثة، رغم العقبات الكثيرة، ساعدت الحضارة الأمريكية وشجعتها على طرح فكرة العولمة، وظنتها سهلة التطبيق،

في حين أن الإنسان يتطور نحو العولمة تلقائياً، دون دفع قسري.

لكن الشروط التي تضعها الحضارة الأمريكية، فهي دون أن تدري، تضع الحواجز في وجه العولمة،

حيث تقاومها الشعوب، وهو ما يظهر خارج قاعات المؤتمرات الدولية، التي تشارك فيها الدول والمنظمات والأفراد، من مظاهرات احتجاجية.

- **جرى** طرح العولمة بأسلوب يدل على أنها لم تأت نتيجة فكرة أو مبدأ، بل كانت من وحي مادي بحت، هي إبادة المسافة، التي استفحلت من حيث التطبيق، عن طريق الانترنت والفضائيات والوسائل الإعلامية وسرعة المواصلات تقنياً.

وهذا يعني أن العولمة ليست نتاجاً ثقافياً، ولكنها جاءت نتيجة تطور الأدوات والتقنيات.

- **الحضارة** الامريكية ترى أن الحوار الحضاري لا يهدف في حقيقته إلى قبول الرأي الآخر بقدر ما هو فرض مبادئ الحضارة الأمريكية على الحضارات الأخرى أو اقناعها بها بضغوط خفية، فالحوار وسيلة إخضاع لا اتفاق.

- **يسجل** للحضارة الأمريكية اتباع وسيلة إتاحة السلم قبل الحرب، ففي حرب تحرير الكويت من العدوان العراقي، أعطت مساحة من الوقت امتدت عدة أشهر، وهي تقدم الاختيارات السلمية للنظام العراقي الذي رفض بدوره كل تلك العروض،

وكذلك تتبع الولايات المتحدة هذا الأسلوب، في محاربة الإرهاب، إذ أنها اتاحت لافغانستان الوقت قبل القيام بالحرب للاستسلام أو تسليم الإرهابيين، ولكن أفغانستان رفضت كل هذه العروض.

الحضـارة الإسـلامية

تضييق التعايش وقبول الآخر

انتشرت الحضارة الإسلامية في أنحاء العالم، خلال سنوات قليلة بالفتح والتجارة، واختلطت وتفاعلت مع مختلف الحضارات التي عاصرتها. وأخذت منها جميعاً ثقافتها وعلومها ثم طورتها.

وهي الآن قادرة على استخدام وسائل العصر، كالانترنت والفضائيات ووسائل الإعلامية للانتشار في جميع أصقاع العالم،

بالتصدي والحوار والتعاون مع الانسان، كأفراد وجماعات ومنظمات ومؤسسات ودول، بأسلوب بعيد عن السلبية.

والتاريخ الإسلامي والنصوص الإسلامية مليئة بالشواهد الحضارية، على أن الإسلام دين الإنسان في كل عصر،

وفيما يلي بعض النقاط كأمثلة على الأعماق الحضارية التي وصلها الإسلام في النفس الإنسانية والروح الاجتماعية:

١ - الفرد والمجتمع والإنسانية:

الإسلام لا يحصر اهتمامه بالفرد، بالرغم من أن للفرد أهمية كبيرة. كما أنه لا يحصر اهتمامه بالمجتمع، بالرغم من أن للمجتمع أهمية كبيرة. الإسلام يبني قوانينه وتشريعاته ليحفظ للفرد وللمجتمع حقوقهما.

فإذا كان للفرد حريته، فإن للمجتمع تقاليده وأعرافه.

وإذا كان للفرد حقه في العمل، فإن للمجتمع حقه في إقامة مبدأ تكافؤ الفرص.

وإذا كان للفرد حق إبداء الرأي، فللمجتمع حقه في عدم تعريض مقدساته وقيمه للإساءة والتجريح،

وإذا كان للفرد حقه في اختيار عقيدته والتشبث بها، فإن للمجتمع الحق أن يكفل احترام العقائد التي يضمها.

ولعل أصدق مثال على أهمية الفرد، بأن جميع التكاليف التعبدية، تبدأ من الفرد كالصلاة والزكاة وهي فرض عين على كل مسلم،

ولكنها تنتقل إلى الجماعة، في صلاة الجماعة، كما أن الزكاة تصرف على فئات محدودة، ذات صفات خاصة في المجتمع كالفقراء والغارمين وغيرهم.

أما الحج فهو الدليل على أن الإسلام دين للإنسانية جميعاً، حيث تختفي على عرفات، كل القوميات والأجناس والأعراق واللغات،

بعيداً عن الأهل والمال والوطن، ولا يبقى إلا الإنسان مع ربه، في جو غفير من الناس، يناجيه ويعبده.

فالإسلام دعوة فردية اجتماعية إنسانية، ولكل من هذه الحقوق أهمية خاصة، عكس ما جاء في الحضارات الأخرى، التي اهتمت بالفرد أو المجتمع.

فنشأ على ذلك النظام الفردي الرأسمالي، الذي يقدس حرية الفرد، على حساب كرامة الأسرة والدين والمؤسسات،

أو النظام الكلي، الذي يقدس المجتمع على حساب الفرد وحريته وكرامته.

وكلاهما لم يحققا التوازن الإنساني.

٣ - حق الحياة:

لكل إنسان الحق في الحياة، لا يتعرض للقتل، حياته مصانة، ومن قتل يحكم عليه بالقتل، على قاتل المسلم، وقاتل غير المسلم، فالقتل جريمة كبيرة.

فقد روى عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من قتل معاهداً، لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً » رواه البخاري.

وكذلك التحريض على القتل، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لو أن أهل السماء وأهل الأرض، اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار" رواه الترمذي.

وقد حرم قتل الجنين في بطن أمه، بإسقاطه بدون سبب حقيقي كالخوف على حياة أمه

و السبب أنه كائن حي، وإذا كان لا يستطيع الدفاع عن حياته، فهذا لا يعني أنه يمكن التخلص منه.

٣ - المساواة بين الناس:

الناس متساوون نساءً ورجالاً، لا فرق بين فيما بينهم، من حيث الدين والعرق واللون والأصل، لا يفرق بينهم إلا العمل، فمن يسئ يعاقب، ومن يعمل خيراً فله الخير والمثوبة من الله تعالى ومن الناس.

وقال تعالى في ذلك ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ الحجرات-١٣

إن الله تعالى قد خلق الناس للتعارف، لا للصراع ولا للعداء، ولن يكون ذلك الا في ظل تعاليم الإسلام ديناً وحضارة.

٤ - المساواة بين الرجل والمرأة:

لقد خلق الله تعالى الرجل والمرأة بداية، من روح واحدة وجعل منها زوجها. وهذا ما يجعل المرأة والرجل على درجة واحدة من المساواة، في الخلق، وفي الحقوق والواجبات.

وقد سبق الإسلام جميع الحضارات في هذا المجال.

كما جعل لكل من الرجل والمرأة ذمته الأخلاقية والاجتماعية والمالية، لا سلطان لأحدهما على الآخر.

ومثوبة أو عقاب كل منهما عند الله منفصلة عن الآخر.

وقد قال تعالى : ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ الأعراف-١٨٩

وقال أيضاً : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ النساء-١

كما قال : ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ الزمر-٦

د - العـــدل :

إن الله تعالى قد حرم الظلم على نفسه، وعلى مخلوقاته كلها، وإن وقع خصام بينهم، فالعدالة يجب أن تأخذ مجراها، وينال كل من الفريقين حقه.

وإن تطاول فريق على فريق، فأكل حقه وتعدى عليه بالحرب، فإن على الوكل بالصلح ويملك زمامه، محاربة الظالم وإخضاعه بالقوة. وبعد إيقافه عند حده، ورده عن ظلمه،

عند ذاك يحكم بين الفريقين بالعدل، ويعطي كل ذي حق حقه.

وليس حلاً بل سلبية أن يقول لهما تقاتلا فيما بينكما، وبعد أن تهدأ الحرب والنفوس بينكما أمارس صلاحياتي، فأقوم بالصلح بينكما،

فهذه سذاجة لا يقبلها العقل،

فلابد من العدل فهو حكم فرضه الإسلام ديناً وحضارة، ولا تنازل عنه

وقد قال تعالى في ذلك : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت أحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ الحجرات-٩

الإسلام هو العدل ولو بعد فرض السلام بين القوي والضعيف،

أما الاستضعاف فهو أسلوب سلبي تكثر فيه ضحايا الظلم،

ولابد من قتال الظالم إذا استشرى ظلمه ويئس الناس من التزامه بمواثيقه وعهوده.

٦ - الحكمة والموعظة الحسنة:

قامت الدعوة الإسلامية على مبادئ الأخلاق الحسنة، في أسلوب الدعوة. فلا غلظة ولا خشونة ولكن بلطف ومودة. إن الدين الإسلامي يقوم على المعاملة الحسنة، والتحبب إلى الناس وكسب ثقتهم والاستمرار على ذلك.

وقد قال تعالى : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ النحل-١٢٥

وقال أيضاً : ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ آل عمران-١٥٩

فالخشونة والفظاظة بالكلام أو بالعمل السيء،

في كل المجالات الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدولية، مع الافراد والجماعات، وفي أي حوار ثقافي أو حضاري

.. **إنها** مرفوضة إسلامياً، بل لابد من اتباع الحكمة والموعظة الحسنة، والله أعلم بمن يضل وبمن يهتدي وعليه حسابه.

٧ - الدفع بعدم شرعية الاثبات:

الإسلام ليس كغيره من المعتقدات وتطبيق الأحكام القضائية، فللمواطن في الحضارة الإسلامية، حق دفع أي قرار يؤخذ ضده، بعدم شرعية هذا القرار أو طريقة إثباته،

فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد دخل بيت أحد المسلمين، اقتحاماً من السطح، ليكتشف أنه مع ضيوفه يشربون الخمر، وهذا حرام،

وأراد أن يقيم الحد أي العقوبة عليهم، لكنه أسقط تنفيذ هذا الحد، بسبب عدم شرعية طريقة إثبات الجرم،

وهو دخول البيت عنوة دون استئذان، وفي ذلك، يقول الله عز وجل : ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ النور-٢٧، وكان عمر قد دخل عليهم من السطح،

وكان عمر يتجسس عليهم، والله تعالى يقول : ﴿ ولا تجسسوا﴾ الحجرات-١٢

إن هذا يدل على أن المجتمع الإسلامي، قد عرف تنظيم سلطات الحاكم وتقييدها، التي كانت مطلقة في ذلك الوقت،

ولم تعرف الحضارات الأخرى الدفع بعدم دستورية القوانين، إلا في القانون الدستوري الأمريكي الحالي.

إن للبيوت في الإسلام حرمتها، وذلك منذ أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، ليأمن الكفار على أنفسهم:

"**ومن لزم بيته فهو آمن**"

فللبيت حرمته، إلا أن ترتكب فيه الجرائم، التي تؤذي الغير، إذا كان لا يمكن إنكارها

٨ - الشـــورى :

وضع الإسلام مبدأ الشورى منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أمر الله تعالى نبيه الكريم بمشاورة أصحابه في الأمور التي تخصهم، وهذه الشورى في حدود خاصة، تتوافق مع القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهما الأساس الأول في الشريعة والحضارة الإسلامية.

وتدخل الشورى في أمور كثيرة واسعة، ومنها على سبيل المثال الطريقة الأفضل في تطبيق مبادئ الإسلام في الحياة والمصالح العامة.

كإيجاد آلية محددة ومطورة لهذا التطبيق، مثل جمع الزكاة وإنفاقها في مجالاتها الشرعية.

وفي الشورى قال تعالى: ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ آل عمران-١٥٩

وقال أيضاً : ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ الشورى-٣٨

٩ - اختلاف العقائد بين الناس :

إن الدين الإسلامي قوي الحجة، ولم يترك أمراً من أمور الدنيا والآخرة لم يسبر أغواره وأحاط بأبعاده.

وأن الله عز وجل قد خلق البشر على أجناس وأعراق عديدة، واختلاف في المال والعلم والقدرات، وجعلهم أيضاً مختلفين في عقائدهم الدينية.

والإسلام دين متكامل وحضارة واعية، وسيعم أرجاء الأرض، بإذن الله، ويكون هو الدين الوحيد للبشر.

ولن يقبل الله تعالى من الناس ديناً غير الإسلام، وقد قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ - عمران: ٨٥

وبالرغم من ذلك فإن الله تعالى يترك للناس اختيارهم دينهم وما يعبدون فقال: ﴿قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين﴾ الكافرون

وكما أن الإسلام دين عظيم، وحضارة فريدة من نوعها، فالإسلام يدعو إلى مجرد الإيمان. **ولكنه يترفع أن يؤمن الناس به كرهاً وبضغوط.**

ولابد للإيمان أن يكون طوعاً ونابعاً عن مودة وإرادة حرة، ولا يحمل الإسلام الناس بالقوة ليصبحوا مسلمين.

وقد قال تعالى لنبيه الكريم : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾-يونس-٩٩

وقال أيضاً : ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ البقرة-٢٥٦

وقال أيضاً : ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾-الكهف-٢٩

١٠- المعاهدات مع غير المسلمين:

اليهود والذين كفروا هم أشد الناس عداوة للمسلمين، ومع ذلك فالحضارة الإسلامية تعنى بشؤون الناس جميعاً، وخاصة الذين يعيشون معهم في نفس المجتمع كاليهود،

فقد عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم معاهدة حين قدم إلى المدينة المنورة، وكان خطرهم لا يقل عن خطر المشركين، لكن التعايش مع الأديان الأخرى، أمر تستوعبه الحضارة الإسلامية.

ومن بنود هذه المعاهدة:

- المسلمون واليهود في المدينة أمة واحدة.
- لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

لليهود نفقتهم وللمسلمين نفقتهم.

- تحالف على النصر لمن حارب أصحاب هذه المعاهدة.
- لا يجوز لليهود التحالف مع كفار قريش، ومن شايعهم ضد المسلمين.

وهذا يعني أن من صلب الدعوة للإسلام، أن لا إكراه في الدين، وأن لكل غير حرمة خصوصيته واحترامه،

فالإسلام دعوة للتعايش بسلام، مع إمكانية كل فرد البقاء على دينه.

كما أن الإسلام قد دخل مناطق شتى من العالم، فاختلطت تعاليمه مع عادات وتقاليد الأمم والشعوب،

ولم يحارب الإسلام التقاليد والأعراف الخاصة بالحضارات الأخرى، كما هذبها وذم التعصب والعنصرية.

والى جانب المسلمين، فإن غير المسلمين يعيشون معهم وكرامتهم محفوظة وحقوقهم مصانة.. إنها حضارة إنسانية،

يمكن أن يعيش فيها المسلم والمسيحي واليهودي والبوذي والهندوسي والكافر والملحد والناس جميعاً، في ظل تسامح الإسلام وعدالته.

١٠- الجهـــــاد :

في الجهاد رحمة، وقد صاغ الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه صاحب رسول الله، وأول الرجال إيماناً بالإسلام، فقال حين وجه الجيوش الإسلامية في بداية الفتوحات:

"**لا** تخونوا ولا تضلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولاتعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة. ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام، قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له"

هذه القواعد في الجهاد، طبقت في كثير من مراحل الفتح الإسلامي، وبقيت هذه الوصية عنواناً كبيراً ومهماً في تاريخ المسلمين.

أما في الحضارات الأخرى، فلارغام حكومة في دولة ما، تقصف مدنها وبنيتها الاقتصادية والبيوت والآمنين بالطائرات والقنابل الثقيلة العادية والذرية.

١٢- لا جهاد بلا حوار :

قبل أي معركة، لابد للقائد المسلم، أن يدعو أعداءه إلى السلم، فإذا رفضوا الانصياع خلال ثلاثة أيام حاربهم.

كما في قصة سلمان الفارسي، حين وصل في الفتح إلى حصن فارسي، فدعاهم إلى الحرب أو الإيمان أو دفع الجزية، فرفضوا، وأمهلهم ثلاثة أيام فرفضوا فحاربهم.

وقد شكا أهل سمرقند ظلم القائد قتيبة بن مسلم الباهلي، إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز، بأن القائد حاربهم في أرضهم دون دعوة مسبقة إلى السلم.

فأحاله إلى القاضي (جميع بن حاضر)، فحكم بأن يغادر جيش المسلمين سمرقند ولا يعود إليها إلا بعقد جديد وأسلم أهل سمرقند بعد هذا الموقف.

وقد قال بعض الفقهاء أن على القائد ديات من يقتل من الكفار، إذا قاتلهم دون دعوة إلى السلم قبل بدء القتال.

كما أن الكفار إذا أرادوا السلم، في أي مرحلة من مراحل المفاوضات أو القتال، يجابوا إليه.

أي إذا جنح الكفار للسلم، فعلى القائد المسلم أن يقبل هذه الدعوة، ولو شك في أنها خدعة.

وقد قال تعالى : ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله﴾-الأنفال-٦٠-٦١

١٣- لا إيمان تحت القهر .. ولا عداء مع العهد :

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، أن المجاهدين المسلمين بعد غزوة تبوك، وقد تحقق لهم النصر، وهرب بعض الكفار، أرادوا الاستراحة،

ورأوا حقلاً فيه كثير من الأشجار الوارفة الظلال، فاختاروا أوسعها ظلاً، ليرقد تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوازعوا الظلال تحت ظلة الأشجار.

وعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه على غصن، واضطجع وغمض عينيه. وتسلل أحد الكفار الهاربين، حتى وصل وشهر سيفه عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له:

- **يا** محمد أتخافني؟
- **فقال** الرسول : - لا.
- **فقال** الرجل : - وما يمنعك مني؟
- **فقال** الرسول: الله تعالى.

وانتبه جنود المسلمين أصحاب الرسول فاقتربوا فإذا بالرجل يرفع سيفه ليضرب به، لكن السيف يسقط من يده، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم و وضعه عند عنق الرجل،

وقال له : أتخافني؟

فقال الرجل : - نعم

فقال الرسول : - وهل يمنعك مني شيء

فقال الرجل : - لا

فقال النبي : - بلى؟ أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.

فقال الرجل : - أما هذه فلا،

وأضاف وعلامات الخوف بادية على وجهه ونبرات صوته:

- **ولكن** يا محمد كن خير آخذ، إن تركتني، أعاهدك أن لا أعاديك، ولا اقف مع من يعاديك، وأن لا أقاتلك ولا أقاتل مع من يقاتلك أبداً.

فقال له النبي : - لك هذا،

ومضى الرجل آمناً. ولما وصل إلى رفاقه الهاربين من المعركة، سألوه :

- **أين** كنت؟

قال : - جئتكم من عند خير الناس محمد بن عبدالله وأنا لا أؤمن به.

القسم الثاني

قراءات في الحضارة الإسلامية

- المملكة والمشعل الحضاري
- فلسطين .. قضية حضارية
- الانتماء الحضاري

الفصل الأول:

المملكة والمشعل الحضاري

تمهيد

انطلق الدين الإسلامي الحنيف من مكة المكرمة، ونشأت في المدينة المنورة أول دولة إسلامية بقيادة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين.

ثم انتقل مشعل القيادة إلى الدولة الأموية ثم إلى الدولة العباسية، ثم تولت الامبراطورية العثمانية قيادة الإسلام والمسلمين من عاصمتها إسطنبول.

وقد انهارت هذه الامبراطورية مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وتولت الدول المنحدرة من الحضارة الغربية، والمنتصرة في الحرب، اقتسام ولايات العالم الإسلامي ومناطقه.

ويمكن القول بأن المسلمين قد مرت عليهم أصعب المحن تائهين في خضم واسع بين الدعاوى المختلفة التي غزت البلاد مع الحضارة الغربية.

غير أن الله تعالى قد قيض لهذه الأمة رجلاً تفوق على عصره، وتخطى محاور الظلام والبدع والجهل، واستطاع بكل ثقة أن يحمل المشعل الحضاري الإسلامي ويرفعه عالياً.

وذلك حين فتح الرياض وأعلن تأسيس المملكة العربية السعودية كدولة تقوم على الإيمان بالله تعالى إلهاً واحداً لا شريك له وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ونبياً وبالإسلام ديناً وحضارة.

وذلك الرجل هو الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه.

وقد كان للمملكة الفضل الأكبر بإنشاء رابطة العالم الإسلامي كرابطة بين الشعوب الإسلامية التي فرقتها الظروف والأيام.

كما ساهمت المملكة مساهمة رئيسية بتأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي التي جمعت دول العالم الإسلامي وحكوماته في منظمة واحدة تلتقي فيها كلمة المسلمين امام القضايا التي تعصف بهم

كما شاركت المملكة بتأسيس جامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي. وذلك لإقامة تعاون حقيقي مدروس بين دول المنطقة، في إطار استكمال جهودها في توحيد كلمة المسلمين وتضامنهم ولم شعثهم وتحقيق مصالحهم.

الشيخ محمد بن عبدالوهاب

ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العيينة قرب الرياض (١١١٥-١٢٠٦هـ) (١٧٠٣-١٧٩١م)، وتلقى علومه عن والده على الفقه الحنبلي والتفسير والحديث، وحفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنين.

درس على علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة، والتقى بشيخه محمد حياة السندي والشيخ عبدالله بن ابراهيم آل سيف، وقد زار بغداد والبصرة والموصل. والتقى مع علمائها.

وكان ينادي بالرجوع إلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح، وأيده كثيرون، وعارضه آخرون، إلى أن توجه إلى الدرعية مقر إمارة آل سعود.

الدولة السعودية الأولى

وقد رحب به الأمير محمد بن سعود الكبير، وقاما معاً بنشر الدعوة في ربوع نجد. وكتب الإمام رسالته الشهيرة بعنوان «التوحيد الذي هو حق على العبيد». ودعا إلى ترك البدع وزيارة القبور والاستغاثة بالأولياء والصالحين.

وبعد وفاة محمد بن سعود، خلفه ابنه عبدالعزيز، ووصلت الدعوة في عهده جنوب العراق. وفي عهد ابنه سعود دخلت قواته أرض الحجاز مكة والمدينة، ثم شملت إمارته عسير وأطراف اليمن.

ثم عادت شمالاً نحو العراق وبلاد الشام، وقد عجز ولاة العثمانيين في العراق والشام عن مواجهة الدعوة السلفية، فأمر السلطان العثماني واليه على مصر محمد علي الذي أرسل ولده إبراهيم في حملات عديدة متلاحقة استمرت ثماني سنوات.

استطاع في نهايتها دخول الدرعية عام ١٨١٨، وأخذ الأمير عبدالله بن سعود آخر الأمراء السعوديين في الدولة السعودية الأولى أسيراً ثم أرسله إلى اسطنبول حيث استشهد على أيدي العثمانيين.

الدولة السعودية الثانية

نشطت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مرة ثانية حين تمكن الأمير فيصل بن تركي المنفي في مصر من الفرار، واسترد إمارة نجد،

ونعمت البلاد بالأمن، وامتد ملك السعوديين إلى عسير غرباً والأحساء شرقاً.

لكن الخلاف دب بين الأمراء السعوديين، واغتنمت السلطنة العثمانية ذلك حيث ساعدت أمير حائل (ابن رشيد) في احتلال الرياض.

وهاجر الأمير عبدالرحمن بن سعود بن فيصل بن تركي إلى الكويت وانتهت بذلك الدولة السعودية الثانية.

الدولة السعودية الثالثة

طمع ابن رشيد بالاستيلاء على الكويت، فهب الأمير عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز لمساعدة أمير الكويت، وكان هذا أول احتكاك بين عبدالعزيز آل سعود وابن رشيد.

واستطاع عبدالعزيز فتح الرياض ١٩٠١، وحاولت تركيا إعادة نجد الى امبراطوريتها، فأرسلت حملة عسكرية لمساعدة ابن رشيد، لكن عبدالعزيز قضى على هذه الحملة ببراعة شديدة، فانسحبت تركية نهائياً عن نجد عام ١٩٠٦.

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى، اجتمع العلماء ورؤساء القبائل في نجد، وقرروا المناداة بالأمير عبدالعزيز آل سعود سلطاناً على نجد.

وكانت حائل قاعدة شمر مازالت تحت سلطة آل رشيد، وهي جزء من نجد، فحاصرها عبدالعزيز حتى استسلمت، وتم بذلك توحيد نجد.

ثم اتجه نحو الطائف واحتلها، وذلك بعد أن قام أمير مكة في ذلك الوقت بمنع النجديين من أداء فريضة الحج. وأصبح الطريق أمام عبدالعزيز مفتوحاً نحو مكة.

واجتمع أعيان الحجاز وتجاره وطلبوا من أمير مكة التنازل لابنه عن العرش، ولم يستطع الأمير الجديد أن يتصدى لقوات ابن سعود الزاحفة التي دخلت مكة في ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٤.

ثم حوصرت جدة وسلمت، وبذلك تم انضمام الحجاز في ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٦.

ثم اجتمع أهل الحجاز في المسجد الحرام وبايعوا عبدالعزيز آل سعود ملكاً على الحجاز وأصبح لقبه ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

وبعد سنوات أعلنت عسير انضمامها إلى الحجاز ونجد وملحقاتها وفي ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٢، أصدر عبدالعزيز آل سعود مرسوماً بتوحيد أجزاء مملكته في دولة واحدة هي المملكة العربية السعودية.

المشعل الحضاري

اعتمدت المملكة في كل الأمور على الإسلام خالياً من الشوائب، وأصبحت نموذجاً حديثاً، ومثالاً يحتذى في التطبيق الإسلامي كما كان عليه السلف الصالح.

ويجب القول بأن المملكة هي الدولة الوحيدة في العالم، التي أعلنت عن نفسها بأنها دولة إسلامية فلم تطبق أو تتبع منهاجاً وضعياً إلا ويتفق مع الإسلام، ولا تلتزم أي معتقد يخالف الإسلام، فهي إسلام أولاً وقبل كل شيء

ولم يسبق للدولة السعودية في مراحلها الثلاث أن دعت لغير الإسلام

فالإسلام هو الأساس الذي تقوم عليه وهو وسيلتها في جميع أمورها كما أنه آفقها الواسع وهدفها الأسمى.

وقد اعتمد الملك عبدالعزيز منذ فتح الرياض، على أن أعداءه هم أصدقاؤه. فإذا انتصر على أحدهم أكرمه وقدمه على الآخرين، وحفظ له كرامته ومكانته.

وقد أحاط عبدالعزيز نفسه بشعب يحبه، فالكبير والد، والقرين أخ والصغير ابن، وهكذا صنع أبناؤه من بعده.

وعلى الصعيد الدولي، أقامت المملكة شبكة واسعة من العلاقات الدولية تقوم على تجميع الأصدقاء، حتى غدت دولة رمزاً بين الدول على العلاقات الطيبة التي تتسم بالوضوح والاتزان والحكمة والحزم.

فالمملكة لا تحارب إلا من ثبت ظلمه كالصهيونية والإلحاد.

كما جعلت العالمين العربي والإسلامي والمنطقة الخليجية مجال اهتمامها الأول في جميع النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وأصبحت المملكة رقم المعادلة الأول لتحقيق التوازن في هذه المناطق الثلاث

كما شيدت علاقات متميزة مع الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الدول الأوربية واليابان

ونشر الملك عبد العزيز الأمن وطبق القانون والشرع الإسلاميين على الجميع، ووطن البدو.

وأشير إلى أن اكتشاف النفط قد حدث حين كان الملك عبدالعزيز يعمل على تأمين خدمات الحجاج والقيام بخدمة الحرمين الشريفين.

ولهذا صبت موارد النفط في هذا الحقل، ولقد كان تأمين خدمات الحج أول بداية للتنمية التي شهدتها المملكة.

كشق الطرق المعبدة بين مدن المملكة لتسيير قوافل الحج البرية، وإنشاء المطارات ومدن الحجاج الواسعة استعداداً لاستقبال ضيوف الرحمن، وكذلك القيام بتوسيع الموانئ وإنشاء العديد منها لاستقبال الحجاج عن طريق البحر.

وكل ذلك بعث على التنمية الشاملة بجد ونشاط، لأن المملكة بجميع محافظاتها ومناطقها وقطاعاتها تقوم بخدمة الحجيج.

ولما كانت المملكة تقوم على الإسلام، فهي ترعى الحج وتنظمه بأعلى مستويات الاهتمام حيث يقوم كل قطاع وكل وزارة بمهامها في مضمار خدمة ضيوف الرحمن

وهكذا ظهرت التنمية والتطور بدافع إسلامي أولاً وقبل كل شيء، فقد اعتمد الملك عبدالعزيز وأبناؤه من بعده على الإسلام كمنهج حياة وبناء وتقدم

وبدأت العناية بالزراعة والصناعة والتجارة، واستقدام التكنولوجيا الحديثة واستخدامها في وسائل النقل البري والبحري والجوي والاتصالات السلكية واللاسلكية، وأسس المدارس والجامعات وأرسل البعوث إلى الخارج، واهتم بالشؤون الصحية.

وأصبحت المملكة نموذجاً لا مثيل له في التقدم والبناء والرقي إلى جانب المحافظة على التراث والأصالة والتقوى والإيمان

ويمكن القول بأن المشعل الحضاري الذي حمله الخلفاء الراشدون ثم الأمويون ثم العباسيون ثم العثمانيون قد انتقل إلى اليد السعودية.

وهي تحمله اليوم باقتدار وأمانة وتتولى خدمة الحرمين الشريفين بكل صدق وإيمان.

الفصل الثاني

فلسطين .. قضية حضارية

تمهيد

بدأت قضية فلسطين منذ بداية سقوط الدولة العثمانية بمحاولات لاقناع السلطان العثماني بفتح باب الهجرة لليهود من أنحاء العالم إلى فلسطين.

وكان رفضه أحد الأسباب للانقلاب عليه، ومن ثم تمزقت الامبراطورية الإسلامية بين المستعمرين الأوربيين وأنشئت دول صغيرة بحجة التقسيمات حسب مفهوم القوميات الأوربي.

لكن بقايا الدولة الإسلامية تداعوا إلى العروبة لتجمع بينهم ضد الدولة الصهيونية التي تدعي أسباباً دينية لتأسيسها.

وتتلخص الروايات الدينية في هذا المجال بأن لله تعالى بقعتين مباركتين في مكة المكرمة والقدس الشريف، وبأمر منه عز وجل إلى النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام بأن يرفعا قواعد المسجد الحرام بمكة المكرمة، وبعد ذلك بأربعين عاماً قام إبراهيم عليه السلام بمحاولة بناء المسجد الأقصى في القدس الشريف.

لكن إبراهيم لم يتمكن من بناء المسجد الأقصى بل أتى أولاده من بعده للقيام بذلك، وقد حاول النبي داوود عليه السلام أن يقوم بذلك، غير أنه لم يتمكن أيضاً من إتمامه.

ومن ثم قام النبي الملك سليمان عليه السلام ببناء هذا المسجد الذي يسمى عند اليهود هيكل سليمان

وبعد وفاة سليمان انشقت مملكته إلى مملكتين سقطتا تباعاً، وقام البابلي نبوخذ نصر بهدم هيكل سليمان ولم يبق منه إلا الحائط الغربي، وهو ما يسمى عند اليهود حائط المبكى

وأعيد بناء المسجد ورمم وأصبح معبداً وثنياً حتى فتح الرومان بلاد الشام

واستمر حرمان اليهود من القيام بشعائرهم التعبدية،

وجاء الفتح الإسلامي المبارك وعاد المعبد مسجداً كما أراده أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام.

وقام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوضع شرعة جديدة لم تعرفها تلك المدينة من قبل

وهي أن يتعايش المسلمون والمسيحيون واليهود بسلام وتعاون مع صون كرامة كل فرد، كما تملي ذلك الشريعة الإسلامية الغراء.

وفي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، قبيل قيام الحركة الصهيونية، طلب اليهود من أهل القدس الذين أقاموا مع المسلمين والمسيحيين قروناً عديدة أن يسمح لهم باقامة شعائرهم الدينية عند حائط المبكى من المسجد الأقصى، ولم يجد المسلمون حرجاً في تلبية هذا المطلب.

وفي عام ١٩٢٠ طلب اليهود من المسلمين استئجار الحائط الغربي من المسجد أي حائط المبكى بوثيقة مكتوبة، حتى لا يمنع اليهود من هذه المنحة الإسلامية في المستقبل.

ورضي المسلمون بذلك ومازالت هذه الوثيقة محفوظة لدى محكمة العدل الدولية في ستوكهولم كوثيقة مهمة حتى اليوم.

أما الحركة الصهيونية التي تريد تجميع اليهود من أنحاء العالم في وطن قومي لهم في فلسطين،

فهي تدعي أنها تريد هدم المسجد الأقصى لإعادة بناء هيكل سليمان أو تريد حفر ما تحت المسجد الأقصى لتفتش عن هيكل سليمان،

وهي تعلم أن البابلي لم يقم بدفن هيكل سليمان تحت الأرض

وكذلك لم يدفن حائط المبكى تحت الأرض

الحركة الصهيونية تريد هدم المسجد الأقصى لتمحي التواجد الإسلامي في القدس.

ولتقضي على المقدسات الإسلامية في المدينة المقدسة.

ولعلها تدري أنها بهدم الأقصى. تهدم حائط المبكى وهو الأثر المقدس الوحيد لليهود في القدس.

الحركة الصهيونية قدمت الأكاذيب وبكل أسف انطلت على الكثير من اليهود والمسيحيين في العالم.

ثم استعانت الحركة الصهيونية بالدول الكبرى لمساعدتها.

فأقامت مركز الوكالة اليهودية في سويسرا قلب أوربا ثم نقلتها إلى انكلترا، والوكالة الآن تحتل مكاناً مهماً جداً في الولايات المتحدة الأمريكية.

وصبت المساعدات الهائلة من كل حدب وصوب على الحركة الصهيونية، التي أنفقت الكثير، لحمل اليهود على ترك أوطانهم بالأماني والمال للوصول إلى فلسطين المحتلة حيث يجدون العمل والبيت والأسرة.

أما النفقات فتتحملها الدول التي انطلت عليها أكاذيب الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية.

والجدير بالذكر أن الأمان لهذا المستوطن القادم من بلاده البعيدة لم تستطع الحركة اليهودية ولا اسرائيل تأمينه له، لأن المسلم والمسيحي في فلسطين لم يتوانوا عن التضحية بأنفسهم في سبيل الحفاظ على بلدهم وانتمائهم الحضاري

إنها قضية حضارية.. وطن صغير يتعايش فيه المسلمون والمسيحيون واليهود بأمان وسلام، فيقوم يهود متعصبون مارقون بتهديم هذا الائتلاف لإقامة دولة يهودية عنصرية تساعدها الحضارة الغربية، لا لشيء إلا لأنهم ظنوا بأنهم أجهزوا على الحضارة الإسلامية.

هذه الحضارة التي مازال مشعلها يضيء في قلب كل مسلم.

ولعلهم لا يدركون أن الحضارة الإسلامية قادرة على استيعاب هذا النزاع حرباً أو سلماً.

فالإسلام بتسامحه يستطيع استغراق الآخر وانتزاعه من نفسه الأمارة بالسوء ليكون بالتالي متفهماً لحضارة التعايش السلمي التي ينادي بها الإسلام.

وأقدم للقارئ عرضاً تاريخياً للقضية الفلسطينية على الصعيد السياسي والدبلوماسي والقانون الدولي والاتفاقيات الدولية.

وعرضاً تاريخياً آخر للمقاومة الفلسطينية التي لم تهدأ ولم تنطفئ شعلتها.

البنـد الأول:

التاريـخ السـياسـي

١ - فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية

السلطان عبدالحميد الثاني

تولى عبدالحميد الثاني السلطة عام ١٨٧٦

وكانت فكرة الجامعة الإسلامية التي تنادى إليها علماء المسلمين في ذلك الوقت، وفي مقدمتهم الشيخ جمال الدين الأفغاني، قد أصبحت حلماً عند جميع المسلمين.

فتزعمها عبدالحميد الثاني ودعا إلى الإصلاح، وقرب إليه الأعلام الإسلامية البارزة واهتم بالدعاة في جميع الأقطار في السلطنة العثمانية، واهتم بوسائل المواصلات بين الولايات العربية، ومنها خط سكة حديد الحجاز الذي يختصر الطريق من دمشق إلى المدينة المنورة إلى أربعة أيام بعد أن كانت القوافل تستغرق أربعين يوماً.

كما أقام حكومة جديدة، شكلها مدحت باشا وهو من جمعية الاتحاد والترقي الذي وضع الدستور الذي يحد من سلطة السلطان، وأعطى حريات أكثر للشعب، وساوى بينهم أمام القانون.

وكفل حرية التعلم والصحافة، وحدد اختصاصات كل من مجلس النواب ومجلس الأعيان، ومنع مصادرة الأموال وإعفاء القضاة التعسفي.

ونص الدستور على أن دين الدولة هو الإسلام وأن الرعايا عثمانيون أينما كانوا يقيمون

الحركة الصهيونية

وفي ذلك الوقت، ظهرت الحركة الصهيونية، وهي حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، وتحكم العالم من خلالها.

وظهرت هذه الحركة بأسماء عديدة في التاريخ، لكنها لم تنجح في إقامة هذا الوطن. وتنادي الجماعات اليهودية والصهيونية إلى إقامة مملكة النبي داوود وإعادة هيكل سليمان. وأن تكون القدس عاصمة لهذا الوطن الصهيوني.

وتنتسب الصهيونية الحديثة إلى الصحفي اليهودي النمساوي المجري تيودور هرتزل، الذي ولد في بودابست وحصل على شهادة الحقوق من جامعة فينا عام ١٨٧٨

وقد استغل محاكمة الضابط الفرنسي اليهودي دريفوس الذي اتهم بالخيانة، لنقله أسراراً عسكرية من فرنسا إلى ألمانيا. واستطاع هرتزل اثبات براءته من خلال تصوير الاضطهاد ضد اليهود.

وأصدر هرتزل بعد ذلك كتابه «الدولة اليهودية» واستطاع تجميع مؤيدين له، ثم أقام أول مؤتمر صهيوني في بال في سويسرا بتاريخ ٢٩-١٨٩٨/٨/٣١.

وقد قال بعد المؤتمر : «لو طلب مني تلخيص أعمال المؤتمر فإنني أقول بل أنادي على مسمع من الجميع إنني قد أسست الدولة اليهودية».

وقد اتصل هرتزل بالسلطان العثماني عبدالحميد مرتين ليسمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وإقامة مستعمرات أو مستوطنات لهم فيها، لكن السلطان رفض.

وظل اليهود أقلية في فلسطين يعيشون في علاقات طيبة مع المسلمين والمسيحيين في ظل الحكم الإسلامي، وذلك على عكس الكثيرين من اليهود المضطهدين في أكثر أقطار أوربا والعالم.

جمعية الاتحاد والترقي

ومن غريب الصدف أن ينتهي العمل من الخط الحديدي دمشق/المدينة في عام ١٩٠٨، وفي نفس العام تمت الاطاحة بالسلطان العثماني عبدالحميد حيث قامت جمعية الاتحاد والترقي بالانقلاب.

وقد خيبت سياسة الانقلابيين جميع الآمال، فقد تعصبوا لفكرة القومية التركية، وحاولوا تتريك البلاد العربية.

وقد أدى ذلك إلى تحمس بعض العرب ومنهم الطلاب المتواجدون في أوربا، فدعوا إلى العروبة، واجتمعوا في باريس عام ١٩١٣ وعارضوا التتريك.

غير أنهم لم يتطرقوا إلى ما يسمى بالقومية العربية أو إلى الانفصال عن الدولة العثمانية.

وقد تم القبض على أكثر هؤلاء المفكرين والطلاب في سورية ولبنان وفلسطين وجرى إعدامهم وعددهم ستة في ساحة المرجة-الشهداء بدمشق واثنان وعشرون في عالية بجبل لبنان وذلك في ٦ آيار/مايو ١٩١٦، بأمر من والي سورية التركي جمال باشا السفاح وهو من جمعية الاتحاد والترقي.

اتفاقية سايكس بيكو

وفي عام ١٩١٦ عقدت انكلترا وفرنسا اتفاقاً اقتسموا فيه بلاد الشام بينهما وسمي هذا الاتفاق باسم الموقعين عليه مارك سايكس البريطاني وجورج بيكو الفرنسي، وقد نص الاتفاق على مايلي:

- **تضع** روسيا يدها على القسطنطينية والأراضي المحيطة بالبوسفور والجزء الشرقي للأناضول المتاخم للحدود الروسية.

- **تستولي** فرنسا على سورية ولبنان وجزء كبير من جنوب الأناضول وإقليم الموصل بالعراق، ووضع الجزء الغربي من العراق تحت إدارة عربية تخضع للنفوذ الفرنسي.

- **تستولي** انكلترا على البلاد الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة الفرنسية وتشمل جنوب العراق إلى شمال بغداد وشرق الأردن وحيفا ويافا على أن تقيم في الأردن إدارة عربية تحت نفوذها.

- **وضع** فلسطين تحت إدارة خاصة نظراً لأهميتها الدينية.

وكانت هذه الاتفاقية سرية تتعارض مع رسائل حسين مكماهون

التي تعترف انكلترا فيها باستقلال العرب، وعدم إجراء أي صلح عقب الحرب العالمية الأولى ما لم يتضمن حرية الشعوب العربية مقابل وقوفهم إلى جانب الحلفاء وتسخير مواردهم وجهودهم لنصرتهم ضد تركية.

وقد افتضح أمر هذه المعاهدة في العام التالي من عقدها بسبب الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧ التي أذاعت الكثير من أسرار حكومة القياصرة.

وعد بلفـــور

وفي عـام ١٩١٧ خـلال الحـرب العـالميـة الأولى استطاعت الحـركـة الصهيونية كسب تأييد الأوربيين عامة وبريطانيا خاصة التي قدمت وعداً في رسالة من وزير خارجيتها آرثر بلفور إلى الزعيم الصهيوني روتشيليو جاء فيهـا:

«**إن** حكومـة صـاحـبـة الجـلالة تنظر بعين العطف لإنشـاء وطن قـومي لليهود في فلسطين، وستبذل كل مساعيها لتسهيل بلوغ هذا الهدف بشرط الا يضر ذلك بمصالح أهل فلسطين».

لجنـة كنـغ كـراين

وفي عـام ١٩١٩ في مؤتمر الصلح الخاص بالحرب العـالميـة الأولى في قصـر فرسـاي بباريس، اقترح الوفد العربي استفتاء السكان العرب في تقرير مصيرهم.

فأيد ذلك الرئيس الأمريكي ولسون، غير أن الاقتراح قد تعثر بسبب الموقف البـريطاني والفـرنسي والصهـيوني، وأصـرت الولايات المتحـدة على تنفيذه، فأرسلت لجنة (كنغ-كراين) الأمريكية، لمعرفة رغبات العرب.

وفي عـام ١٩٢٠ عـقـد المؤتمر السـوري العـام (سـورية ولبنان والأردن وفلسطين) ورفض هذا المؤتمر مـعـاهـدة سـايكس بيكو ووعـد بلفـور وكل مشروع يؤدي إلى تقسيم سورية وإنشاء دولة يهودية أو وطن قومي لليهود في فلسطين.

مؤتمر سان ريمو

عقدت كل من فرنسا وانكلترا وإيطاليا في نفس العام مؤتمر سان ريمو. وأكدت قراراته كل ما جاء في اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور والشروع في تنفيذهما وهي :

- **وضع** سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي
- **وضع** فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني

وأضيف إلى بند الانتداب البريطاني أن الدولة القائمة بالانتداب على فلسطين تكون ملتزمة بتنفيذ وعد بلفور.

الانتداب البريطاني

أول مندوب بريطاني في فلسطين كان يهودياً، وتحت رعايته نشط اليهود وبسطوا نفوذهم. وكثر المهاجرون فقد تم فتح باب هجرة اليهود إلى فلسطين على مصراعيه دون مبالاة بالامكانات الفلسطينية الاقتصادية أو سعتها الجغرافية.

كما تم تشجيع بيع أراضي الفلسطينيين لليهود وبشتى الوسائل كمنح القروض أو تقديم المساعدات لإقامة المستعمرات اليهودية وشراء الأراضي.

ومنذ عام ١٩٢٠ ثارت ثائرة الفلسطينيين، وأدركوا ما يدبره اليهود والانكليز. وبدأ سيل الدماء مع مطالبتهم بإلغاء وعد بلفور ورفض الانتداب البريطاني على فلسطين وطالبوا بالاستقلال وتأليف حكومة دستورية.

وفي عام ١٩٢٢ عقد المؤتمر العربي الفلسطيني. وطالب السوريون واللبنانيون والفلسطينيون بحقهم في الاتحاد وتأليف حكومة مشتركة وإلغاء الانتداب البريطاني الفرنسي ووعد بلفور

وحاولت بريطانيا إنشاء حكومة فلسطينية يرأسها المندوب السامي البريطاني. ومجلس استشاري مشترك بين المسلمين والمسيحيين واليهود، ورفض ذلك الفلسطينيون، وقامت بريطانيا بحكم البلاد حكماً مباشراً.

كما نشطت أعمال الوكالة اليهودية، التي كانت بريطانيا تستشيرها في كل الأمور فانتشرت معاهدهم ومؤسساتهم وفرقهم العسكرية الإرهابية.

وكان تنظيم الوكالة دقيقاً، حيث يجمعون المال من الخارج

من أوربا وأمريكا وينشرون تعليمهم والدعاية لليهودية والصهيونية، وهذا التنظيم لم يكن موجوداً لدى الفلسطينيين

واشتدت الاشتباكات بين الفلسطينيين واليهود عام ١٩٢٩ بحوادث حائط المبكى، وهو الحائط الغربي للمسجد الأقصى، والذي يحج اليهود إليه ويبكون عنده.

الكتاب الأبيض

بعد هذه الحوادث أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض عام ١٩٣٠، وقررت فيه وقف الهجرة اليهودية إلى المناطق العربية، والسماح بهجرة محدودة إلى المناطق التي لم تعمر

الكتاب الأسود

ولم يرض اليهود عن الكتاب الأبيض فتراجعت بريطانيا عنه وأصدرت الكتاب الأسود عام ١٩٣١، وعادت معه وفود المهاجرين التي لم تتوقف.

وفي عام ١٩٣٣ تولى هتلر والنازية حكم ألمانيا واضطهد اليهود وشردهم، وهرب الكثيرون إلى فلسطين التي اكتظت بهم كما كثرت العصابات الصهيونية التي نشرت الرعب بين السكان الفلسطينيين

اللجنة العربية العليا

واتحدت أحزاب فلسطين في هيئة واحدة سميت اللجنة العربية العليا تراسها مفتي فلسطين الحاج محمد آمين الحسيني واشتدت المواجهة في عام ١٩٣٦ حتى بداية الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩.

وأصبحت فلسطين ساحة حرب حقيقية، استخدمت فيها انكلترا واليهود الدبابات والطائرات.

كما أوفدت انكلترا لجنة بيل ١٩٣٧ للتحقيق وقررت أن على كل فلسطيني يبيع أرضه ليهودي أن يحتفظ بمساحة منها تكفيه وعائلته، وجرى تحديد هجرة اليهود بأثنى عشر ألف مهاجر يهودي يدخل فلسطين سنوياً لخمس سنوات قادمة.

كما قسمت فلسطين إلى دولتين يهودية على الساحل من الحدود اللبنانية حتى جنوب يافا

ودولة فلسطينية في الأجزاء الباقية وتضم شرق الأردن ومنطقة انتداب بريطانية دائمة تشمل القدس والأماكن المقدسة

أقرت عصبة الأمم وهي المنظمة الدولية التي تضم الدول الأوربية فقط. وأقيمت بعد الحرب العالمية الأولى هذا المشروع ورفضه العرب، كما عقد مؤتمر في بلودان السورية تقرر فيه رفض هذا التقسيم والتأكيد على أن دولة فلسطين واحدة لا تتجزأ وهي جزء من الأقطار العربية، كما طالب بالغاء الانتداب البريطاني ووعد بلفور، ووقف الهجرات اليهودية ومنع بيع اراضي الفلسطينيين لليهود.

فشل مشروع التقسيم وتجددت الاضطرابات، واعتقل أعضاء اللجنة العليا، واشتد الهيجان في جميع المناطق الفلسطينية حتى عام ١٩٣٨ حيث تخلت بريطانيا عن مبدأ التقسيم

مؤتمر المائدة المستديرة

ثم دعت بريطانيا إلى مؤتمر بين زعماء العرب وزعماء اليهود في لندن وقد عقد هذا المؤتمر عام ١٩٣٩، وقد سمي بمؤتمر المائدة المستديرة

ولم يكن اللقاء مباشراً بل بواسطة مندوب بريطاني يسعى بين الفريقين، وفشل المؤتمر

الكتاب الأبيض

وأصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض وفيه أن التزام بريطانيا بوعد بلفور

لا يعني انشاء دولة يهودية في فلسطين، وأن بريطانيا ستسعى إلى إنشاء دولة فلسطينية لا عربية ولا يهودية، ولكن تتحالف مع بريطانيا، وأنها ستتخذ فترة انتقالية مدتها عشر سنوات تشكل خلالها حكومة وطنية يرأسها بريطاني وستة وزراء عرب واثنان من اليهود، على أن يكون لكل وزير مستشار بريطاني، كما يقام مجلس تشريعي ينتخب حسب النسبة العددية للسكان.

ورفض العرب واليهود هذه المقررات، لأنها لا تتفق مع جميع مطالبهم، وقامت الحرب العالمية الثانية.

٢ - فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية

بعد الحرب انتهت عصبة الأمم وتشكلت هيئة الأمم المتحدة، ونقلت إليها بريطانيا مشروعها الأخير لتقسيم فلسطين، وجرى التصويت عليه، بعد تعيين لجنة فرعية محايدة مؤلفة من إحدى عشرة دولة قامت بدراسته ومراجعته، غير أن العرب واليهود رفضوه.

وأعلنت بريطانيا أنها لن تقوم بتنفيذ القرار بالقوة، ولكنها قررت الانسحاب من فلسطين وإنهاء انتدابها في ١٩٤٨/٥/١٤

حـــــرب ١٩٤٨

وقامت الحرب بين العرب واليهود في اليوم التالي حيث زحفت الجيوش العربية، ومن ثم توقف القتال بهدنة فرضها مجلس الأمن بتاريخ ١٩٤٨/٥/٢٩، ثم تجدد بتاريخ ١٩٤٨/٧/٨

وأعلنت اسرائيل قيامها كدولة على الساحل ومتخذة ميناء إيلات على البحر الأحمر

ومن نتائج هذه الحرب نشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وقيام الانقلابات العسكرية في الدول العربية. ومن أهم النتائج امتداد النفوذ الصهيوني بل انتقاله من بريطانيا إلى الولايات المتحدة.

والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة قد أعلنت اعترافها باسرائيل بعد الإعلان عن قيامها بخمس عشرة دقيقة، وبعد عشر دقائق أخرى أعلن الاتحاد السوفيتي اعترافه أيضاً.

مع قيام الانقلابات وانشغال الدول العربية بأمورها الداخلية وانقسامها بين المعسكرين الكبيرين الأمريكي (الكتلة الغربية أو الحلف الأطلسي) والروسي (الكتلة الشرقية أو حلف وارسو) وقيام الحرب الباردة أي الكلامية تمكنت اسرائيل من الحصول على المزيد من المساعدات المادية والمعنوية من كلا الكتلتين.

وكذلك نشأت المنظمات الفلسطينية وانقسمت فيما بينها حسب المعسكرين الدوليين، كما التفت بعض هذه المنظمات، في عملياتها النضالية ضد بعض الأنظمة العربية حسب ميولها نحو أحد المعسكرين الكبيرين.

حرب حزيران ١٩٦٧

وفي عام ١٩٦٧ استطاعت اسرائيل شن عدوان كبير بسبب أطماعها في مزيد من الأراضي العربية، وبسبب الاستفزازات العسكرية الاستعراضية

التي كانت تقوم بها بعض الدول العربية. واستولت اسرائيل على الضفة الغربية من فلسطين والأردن وهضبة الجولان من سورية وصحراء سيناء من مصر.

كما أن المشاريع السلمية لم يتوقف طرحها من الولايات المتحدة وأوربا والأمم المتحدة، لكنها جميعاً لم يكتب لها النجاح.

ومن نتائج هذه الحرب أن دخلت بعض المنظمات الفلسطينية الجنوب اللبناني وانطلقت منه في عملياتها النضالية ضد اسرائيل وعانى لبنان من جراء هذه العمليات وكان عدد المقاتلين الفلسطينيين حوالي ٣٠٠٠ مقاتل، وبعد سنوات أصبح العدد أكثر من ٢٠ ألف مقاتل.

كما شكلت المنظمات الفلسطينية مركز قوة داخل الأردن، وبدأ النزاع وكانت الغلبة للأردنيين ولم يعد للفلسطينيين قوة تذكر في الأردن

حرب رمضان أو أكتوبر ١٩٧٣

وفي عام ١٩٧٣ استعادت سورية ومصر بعض ما سلبته اسرائيل عام ١٩٦٧. فقد استردت مصر سيناء وأعادت تشغيل قناة السويس للملاحة الدولية، كما استعادت سورية بعض القرى حتى القنيطرة بعد أن استمرت الحرب منفردة على حدودها أكثر من ثمانين يوماً

عقدت الهدنة وبرنامج فك القوات برعاية أمريكية، وقد سجل انتصار العرب في هذه الحرب إلى توافق السياسة المصرية والسورية والسعودية وقد بادرت الأخيرة إلى قطع النفط وتدفقه على الأسواق العالمية كجزء من خطة شاملة، وقد رضخت اسرائيل بعدها للتفاوض برعاية أمريكية كاملة.

اتفاقية كامب ديفيد

قام الرئيس المصري حينذاك بزيارة القدس وإلقاء كلمة في الكنيست الاسرائيلي، وذلك حسب رأيه لإرغام اسرائيل على قبول التفاوض،

لكن العرب كافة لم يستسيغوا هذه الخطوة بل رفضوها، وجرت مقاطعة مصر عربياً بعد انفرادها بعقد اتفاقية كامب ديفيد للسلام مع اسرائيل برعاية أمريكية.

ومازالت هذه الاتفاقية سارية المفعول حتى الآن، غير أن الجمود يعتريها من حيث التطبيع في العلاقات بين مصر واسرائيل.

وبقيت المنظمات الفلسطينية مستمرة بعملياتها النضالية ضد اسرائيل ولا يتردد بعضها في توجيه اتهاماته لبعض الدول العربية حسب تعاطفه مع أحد العملاقين الكبيرين.

الحرب الأهلية اللبنانية

وقد كان التواجد الفلسطيني الكبير في لبنان الشرارة التي فجرت الحرب الأهلية اللبنانية، ومن ثم تداخلت أسباب أخرى تعذر معها التفاهم فيما بين اللبنانيين، وقد أكلت الحرب الأخضر واليابس في لبنان واستمرت خمس عشرة سنة.

ولما استفحلت هذه الحرب، قامت اسرائيل باحتلالها للجنوب اللبناني وتابعت زحفها حتى وصلت قواتها إلى بيروت فبادرت جامعة الدول العربية إلى تشكيل قوات الردع العربية،

وكان أكثرها من الجيش السوري، الذي استطاع إعادة الأمن بين جميع الميليشيات اللبنانية، وإجبار القوات الفلسطينية على ترك لبنان والتوجه إلى تونس.

ولم تنته الحرب اللبنانية تماماً إلا برعاية المملكة العربية السعودية التي سعت سعياً حثيثاً للقاء النواب اللبنانيين في الطائف، قام على أثره سلام متين مازال قائماً حتى الآن.

ثم انسحبت إسرائيل من الجنوب بعد قيام - حزب الله - اللبناني بتنظيم صفوف مقاومته، وإنزال الخسائر في صفوف العدو وصبره على الإرهاب الإسرائيلي المحتل.

انهيار الاتحاد السوفيتي ومؤتمر مدريد

لكن العقد الأخير من القرن العشرين أي التسعينات، شهد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك دوله، وغدت الولايات المتحدة متربعة على قمة الهرم العالمي بمفردها.

وقد قامت العراق باحتلال الكويت، تولد عن ذلك تجمع دولي كبير ضم أكثر من ثلاثين دولة بقيادة المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية، وتجمعت جيوش هذه الدول، وأخرجت القوات العراقية من الكويت.

وكانت الانتفاضة الفلسطينية قد بلغت أوجها في الضفة والقطاع، وعجزت اسرائيل عن مواجهتها أو الخلاص منها، وأظهر الفلسطينيون بقيادة المنظمات التي تعمل داخل فلسطين صبراً لا مثيل له على الفظائع التي ارتكبتها إسرائيل، وكانوا يستخدمون الحجارة ضد النيران والدبابات الإسرائيلية.

ثم دعت الولايات المتحدة العرب وإسرائيل وممثلين عن المجموعات الدولية والاقليمية للاجتماع في مدريد لبحث قضية السلام بين الفريقين المتنازعين العرب وإسرائيل. وكأنها بذلك تتابع الطريق الذي بدأته بكامب ديفيد بين مصر وإسرائيل.

وحضرت منظمة التحرير الفلسطينية هذا المؤتمر كممثل وحيد للشعب الفلسطيني، إلى جانب الوفود الرسمية السورية والأردنية والمصرية والخليجية ووفد إسرائيل

اتفاقية اوسلو

وعلى هامش المؤتمر جرت مفاوضات طويلة وسرية بين الفلسطينيين وإسرائيل عقدت في نهايتها اتفاقية أوسلو التي باركتها الولايات المتحدة ورعتها، ونتج عنها إقامة حكم ذاتي فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة

وأقيم هذا الحكم الذاتي، لكن إسرائيل خلال فترة تطبيق مقررات اوسلو الخاصة بالانسحاب كانت تسوف وتعرقل من خلال حكوماتها التي كانت تمارس إرهاب الدولة ضد الآمنين، وتقوم ببناء المستوطنات، وتهويد مدينة القدس، غير عابئة بالسلطة الوطنية الفلسطينية.

انتفاضة الأقصى

وقام أحد رؤوس الإرهاب في إسرائيل بزيارة المسجد الأقصى مع جنوده، وبدا ذلك وكأنه اقتحام عسكري للمسجد الشريف، فهبت على أثر ذلك انتفاضة فلسطينية جديدة بقيادة منظمة حماس، سميت بانتفاضة الأقصى.

وعادت المواجهات بين الفلسطينيين وإسرائيل بالإضافة إلى خطوات السلام بين السلطة الوطنية الفلسطينية وإسرائيل.

عدوان ١١ أيلول (سبتمبر)

وفي أثناء ذلك، حدث عدوان كبير على مدينتي واشنطن ونيويورك بطائرات مدنية للركاب أجبرت على الاصطدام بمبنى التجارة العالمية الشاهق في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية في واشنطن

وذهب ضحيته أكثر من أربعة آلاف نسمة، وكان حدثاً إرهابياً بكل المقاييس، وقد اتجهت أصابع الاتهام إلى العرب والمسلمين دون تمييز.

وأعلنت الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب بكافة أشكاله وألوانه في أي منطقة من العالم.

وقد تجاوزت الولايات المتحدة كل الحدود حين اعتبرت الفلسطينيين الذين يدافعون عن حقوقهم في فلسطين من الإرهابيين.

وأدى ذلك إلى سكوتها بل تأييدها لما تقوم به إسرائيل من عمليات الفتك والتدمير والإبادة لكثير من المدن والقرى والمناطق والمخيمات الفلسطينية، وقد تناقلت وسائل الإعلام العربية والإسلامية والأوربية صور الفظائع التي ارتكبتها إسرائيل في جنين وطولكريم والخليل وسائر المدن.

وقد أدان العالم كله الإرهاب الإسرائيلي من الضحايا الفلسطينيين.

البند الثاني:

تاريخ المقاومة والشهداء

مع بداية عهد الانتداب البريطاني في فلسطين بدأ الصدام بين الفلسطينيين من جهة والبريطانيين واليهود من جهة أخرى،

بدأت المسيرات والتظاهرات التي ترفض الهجرة اليهودية ووعد بلفور وقدمت العرائض والمطالب للقنصليات الأجنبية الموجودة بدءاً من عام ١٩١٨

كما بدأت الاشتباكات بين الفلسطينيين واليهود، وخاصة في مواسم الاعياد، وقد كانت العادة في الاحتفالات أن يتشارك الجميع بروح من التعاون والائتلاف، وخاصة الاحتفالات الدينية.

موسم النبي موسى

وأول مواجهة كانت خلال ما يسمى بموسم النبي موسى، حيث توالى الخطباء من الطوائف الثلاث، ووقعت أحداث بين المسلمين واليهود وسقط عدد من القتلى بينهم شهيدين مسلمين.

وبدأت قافلة الشهداء والمقاومة تشتد وتزداد

واتسعت الهوة بين المسلمين والمسيحيين من جهة واليهود من جهة أخرى، وبالطبع كانت القوات البريطانية تقوم بحماية اليهود تنفيذاً لوعد بلفور الذي تتعهد فيه بمساعدة اليهود في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين.

كما كانت هنالك قضايا أخرى لقيام المظاهرات في الشوارع والمقاهي، كمحاولات اليهود دخول المناطق الإسلامية القديمة في المدن، بمظاهرات صاخبة تتحول إلى مواجهات مسلحة.

وفي عام ١٩٢٠ سقط الكثير من القتلى: ٤٨ فلسطينياً في يافا و٤٧ يهودياً. وفي هذا العام كان المندوب السامي البريطاني يستغل المنافسة بين العائلات العريقة في القدس التي كانت تسعى للوصول إلى منصب الافتاء، وبعد الانتهاء من معركة هذا المنصب، طالب المسلمون المندوب البريطاني برفع يد الحكومة عن إدارة الأوقاف والمحاكم الشرعية وإنشاء هيئة إسلامية عليا.

ويبدو هنا أن الفلسطينيين كانوا ينشغلون عن مواجهة اليهود بالتنافس على المناصب في حين اهتم المهاجرون اليهود القادمون إلى فلسطين بشراء الأراضي بأساليب ملتوية ومخادعة.

وكان اليهود يتركون في الأرض الزراعية التي يشترونها بعض ملاكها الفلسطينيين ليعملوا بها.

واستطاع المندوب البريطاني تهدئة الأوضاع بإنشاء المشاريع التنظيمية في فلسطين كالوكالة العربية التي تقابل الوكالة اليهودية، كما سن القوانين وفرض الضرائب، وأقام المجلس الاستشاري من أعضاء مسلمين ومسيحيين ويهود.

عيـد الكفـارة

وفي يوم عيـد الكفارة اليـهـودي ١٩٢٨، احتج المسلمـون على تجـاوزات اليـهـود في إقامة شـعـائرهم عند البـراق، وتصـاعـد الموقف توتراً حـتى عام ١٩٢٩ وسقط عدد كبير من الجرحى والقتلى من الطرفين في صفد ويافا كما احترقت بعض البيوت.

وكـان عـدد القـتلى من اليـهـود ١٣٣ والجـرحى ٢٣٩ أمـا الشـهـداء الفلسطينيين فـقـد كـانوا ١١٦ والجـرحى ٢٣٢، كـمـا تم اعـتـقـال ١٣٠٠ فلسطينياً للمحاكمة وقد حكم على ٢١ عربياً ويهودياً واحداً بالاعدام، ثم نفذ الحكم بثلاثة فلسطينيين هم : فؤاد حسن حجازي من صفد، ومحمد خليل جمجوم، وعطا أحمد الزير من الخليل.

أمـا اليهودي وكان قد قتل الشيخ عبدالغني عون وستة من أفراد عائلته، فقد استبدل الحكم بالسجن ١٥ عاماً ثم خفض إلى ١٠ سنوات وقضى منها ٦ سنوات، وخـرج من السجن عـام ١٩٣٥ باحـتـفـال كبـيـر ومـهـرجـان أقـامـه اليهود.

تنظيم سـري

وفي عـام ١٩٣٣ اتفق الفلسطينيون على إقامة تنظيم سري في القدس، وتعددت فروعه إلى ١٧ فرعاً، وكان بقيادة عبدالقادر الحسيني.

وقد شهدت هذه السنة تدفقاً كبيراً من الهجرة اليهودية، أثر تولي هتلر حكم ألمانيا، وعمت المظاهرات المدن الفلسطينية وخاصة القدس ويافا التي استشهد فيها ٣٣ شهيداً فلسطينياً.

الشيخ عز الدين القسام

وفي عام ١٩٣٥ استشهد الشيخ عز الدين القسام مع عدد من أصحابه، وهو أول من أقام تنظيماً سرياً دقيقاً هدفه القيام بأعمال فدائية مسلحة لقتل اليهود والانكليز. وذلك نصرة للدين والوطن.

وكان لاستشهاده، ومحاكمة عصبة القسام من بعده أثر كبير على شحذ الهمم واستمرار المقاومة المسلحة واستمرارها حتى اليوم.

الإضراب العام

وفي عام ١٩٣٦ دعا عبدالقادر الحسيني إلى اجتماع سري داخل الحرم القدسي الشريف، تقرر فيه الإضراب العام في جميع المدن الفلسطينية.

لكن المندوب السامي البريطاني واجه الإضراب باعتقال المتظاهرين وحبسهم، وتحولت الاضطرابات إلى مواجهات مسلحة حين قتل أربعة فلسطينيين في نابلس، وعمت المواجهات جميع المدن والمزارع الفلسطينية.

واشترك الآلاف من الجنود البريطانيين في القتال، واستشهد سعيد العاص، وشاركت الدبابات والمدفعية الثقيلة و١٥ طائرة في معركة بلعا الثانية، وقد بلغ عدد القوات البريطانية ٢٠ أو ٢٥ ألف، جندي حسب التقديرات المختلفة.

وكان عدد الشهداء الفلسطينيين في هذه المعارك يزيد عن ثلاثة آلاف شهيد فلسطيني عربي. وكانت الفرق اليهودية المدربة تشارك في القتال.

الحاج محمد أمين الحسيني

ثم تأكد البريطانيون واليهود أن مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني هو العقبة الأساسية التي تقف بوجه سياستهم ومخططاتهم ، فحاولوا القبض عليه وإقصائه من جميع مناصبه ونفيه من فلسطين فلم يستطيعوا.

ثم قتل أحد الضباط الانكليز المشهور بعداوته وشدته مع المعتقلين الفلسطينيين. فأحضرت انكلترا قوة هندية مسلحة لاقتحام المسجد الأقصى للقبض على المفتي الذي استطاع الهرب ومغادرة فلسطين إلى لبنان، كما تسلل بعض أعضاء اللجنة العليا إلى لبنان.

وازدادت حرب العصابات في فلسطين حتى بلغت ذروتها وقد بلغ عدد القتلى ٣٧ بريطانياً و٩٤ يهودياً و٤٠٤ شهداء فلسطينيين. كما حكمت المحاكم البريطانية على ٥٥ فلسطينياً بالأعدام وذلك ما بين عامي ٣٦-١٩٣٧، أما عام ١٩٣٨ فقد حكم على ٥٤ فلسطينياً بالموت.

أما نتائج الصدامات فقد وقع من القتلى ٧٧ بريطانياً و٢٢٥ يهودياً و٥٠٣ فلسطينياً، أما السجناء فقد بلغ عددهم ٤٢٦٣ فلسطينياً.

أما الحاج أمين فقد زار الكثير من البلاد العربية والإسلامية والأوربية، يستحث الهمم ضد بريطانيا واليهود ورفض أي محاولة تقسيم. ولم تتوقف المواجهات المسلحة بين الفلسطينيين واليهود.

استشهاد عبد القادر الحسيني

وقد استشهد عبدالقادر الحسيني قبيل أيام من إعلان قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ في معركة القسطل التي انتصر فيها الفلسطينيون واستردوا هذا المكان المرتفع بعد أن سبق واستولى عليه اليهود.

التبرعـــات

الاستعدادات الفلسطينية خلال فترة الكفاح الطويلة لم تكن شيئاً يذكر أمام استعدادات اليهود، ويكفي القول بأن حصيلة التبرعات من داخل فلسطين وخارجها من الدول العربية والإسلامية التي كانت تعاني تحت نير الاستعمار أو المستقلة حديثاً، قد بلغت فقط ٧٦٨ ألف جنيه ما بين أعوام ١٩٣٩-١٩٤٦.

أمـــا اليهود فقد كانت الأموال تتدفق عليهم من كل حدب وصوب، وتكفي الاشارة إلى تبرعات اليهود الأمريكيين التي كانت كالتالي: ١٩٣٩-٢.٥ مليون دولار / ١٩٤٠-٣.٧ مليون دولار / ١٩٤١-٣.٥ مليون دولار / ١٩٤٢ ٤.٢ مليون دولار

أما التبرعات العينية والهبات فقد بلغت ١٤.٧ مليون دولار عام ١٩٤٥ و٢٦.٨ مليون دولار عام ١٩٤٦.

النزوح الجماعي

وبدأت بعد حرب ١٩٤٨ عمليات نزوح الفلسطينيين بعد سلسلة من الجرائم والمجازر الجماعية التي قامت بها اسرائيل في القرى والمدن الفلسطينية كدير ياسين وغيرها.

وظهرت إثر ذلك قضية اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية كما بدأت المنظمات الفلسطينية بالظهور وكانت تعمل خارج فلسطين ضد اسرائيل

أما المقاومة داخل الكيان الاسرائيلي بعد عام ١٩٤٨ فقد أصبحت شيئاً لا يذكر فقد خضعت مدن هذا الكيان للتهويد بكل ما في هذه الكلمة من معنى، حيث أقفلت المساجد والكنائس. وتحول معظمها إلى أعمال أخرى غير العبادة وأعطي الفلسطينيون فيها الهوية الاسرائيلية

المنظمات الفلسطينية

واتخذت المقاومة سبيلاً آخر هو الانطلاق من الدول العربية المجاورة، والتي تضم الشتات الفلسطيني

وظهرت المنظمات الفلسطينية وتعددت وتكاثرت، وقامت بعمليات خطف الطائرات وتهديد اسرائيل من الخارج

وكانت تعلن المنظمات مسؤوليتها عن أعمال النضال، وكانت الحكومات العربية تتحمل أعمال المنظمة المقيمة عندها

ومع التعدد الكبير في أعداد المنظمات الفلسطينية، ودخولها المعترك السياسي، أصبحت تعلن عن مبادئ تختلف في مضمونها حسب اختلاف العملاقين الدوليين.

واختلفت توجهات المنظمات مع أو ضد الكتلة الغربية أو الشرقية.

كما توجه نضال هذه المنظات ضد اسرائيل وضد الدول العربية وتهديد مصالحها أو إحراجها مع الدول الأخرى

مثلاً تقوم إحدى المنظمات بخطف طائرة تابعة لاحدى الدول العربية، وتجبرها على النزول في مطار دولة عربية أخرى وتساوم على تفجيرها أو إطلاق بعض المحتجزين في إسرائيل أو أحياناً في الدول العربية.

وظهرت مع المنظمات الفلسطينية اتهامات الفلسطينيين عموماً لزعماء وشعوب العرب بالتقصير في تقديم الخدمات لقضية فلسطين.

وأصبحت قضية فلسطين المشجب الأول الذي تعلق عليه كافة المهاترات والاتهامات بين الدول العربية وشعوبها والمنظمات الفلسطينية المختلفة فيما بينها.

ثم وقعت حرب حزيران عام ١٩٦٧

وكان من نتيجة هذه الحرب أن المقاومة ظهرت داخل الأرض المحتلة من جديد.

الانتفاضـــة الأولى

ومـع الانتصار الذي حققه العرب في حرب ١٩٧٣ بتعاون مصري سوري سعودي، رضخت اسرائيل لقبول المفاوضات

وشكل الفلسطينيون منظمة التحرير الفلسطينية التي انبثق عنها مجلس يضم ممثلين عن جميع المنظمات الفلسطينية داخل وخارج فلسطين.

ولم تتوقف أعـمـال النضـال الوطني التي كـانت تقـوم بهـا المنظمـات الفلسطينية خارج الأرض المحتلة

ثم تفجرت الانتفاضة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة من قطاع غزة ثم تبعتها الضفة الغربية

وكان سلاحها الحجارة فقط

وقد أدهش الفلسطينيون العالم كله بمقاومتهم الآلة العسكرية الرهيبة بالحجارة فقط

يرميها الرجل والمرأة والطفل

وقد قادت منظمة حماس هذه الانتفاضة، وهذه المنظمة لم يسبق لها أن عملت خارج الأرض المحتلة.

وقـد سـقط الكثـيـر جـداً من الشـهـداء الفلسطينيين أمـام النيـران الإسرائيلية، والكثير من الشبان أصبحوا رهن الاعتقال الاسرائلي

واستمرت هذه الانتفاضة أربع سنوات

وبعد ماعجزت اسرائيل عن القضاء على الانتفاضة صارت تساوم سراً على إعطاء قطاع غزة استقلاله وأصبح لديها استعداد للتخلي عن احتلال الضفة والقطاع.

وفي التسعينات مع مفاوضات السلام في مدريد واوسلو بين العرب وإسرائيل برعاية ومشاركة أمريكية كاملة

قبلت به المنظمات الفلسطينية خارج الأرض المحتلة ولم تعترض حماس على المشاركة الفلسطينية

وتوقفت أعمال الانتفاضة بعد تنفيذ بعض الخطوات في اتفاقية اوسلو حيث تشكلت سلطة فلسطينية مستقلة لقطاع غزة والضفة الغربية

الانتفاضة الثانية

لكن إسرائيل تصرفت مع هذه السلطة وكأنها تابعة لها.

وثارت ثائرة حماس، وعادت الانتفاضة مرة أخرى وسميت انتفاضة الأقصى، ولكنها بصورة أشد.

فقد وصلت العمليات النضالية إلى تل أبيب وحيفا ويافا وهي المدن المحتلة منذ عام ١٩٤٨.

وحوصرت السلطة الفلسطينية من قبل الدبابات الإسرائيلية

كما قصفت سائر المدن بالطائرات، وعاثت فيها دبابات إسرائيل وجنودها فساداً

وظهرت العمليات الاستشهادية حيث يفجر الفلسطيني نفسه في تجمع إسرائيلي

ونقضت إسرائيل التزاماتها مع العرب منذ مؤتمر السلام

ومازالت الانتفاضة مستمرة وتقدم الكثير جداً من الشهداء.

الفصل الثالث

الانتمـاء الحضـاري

الإسلام دين وحضارة

غطى الإسـلام مسـاحـة واسـعـة من العـالم، غـيـر أن القـاطنـين في ظله ليسواكلهم مسلمين، بل هنالك الكفار والملحدون وغير المسلمين من النصارى واليهود والهندوس والبوذيين وغيرهم.

والإسلام لم يكن ديناً فحسب، ولم يكن عادلاً ومحقاً مع المسلمين فقط، بل مع كل من تفيأ بظله على أي مشرب كان فالرأي الآخر في الإسـلام له مكانته واحترامه.

ومقبول منه أن يتعايش مع المسلمين في أمان وسلام، وليس هذا القبول كمرحلة عابرة أو مؤقتة حتى يصبح مسلماً، بل هو قبول حقيقي لا مساومة عليه.

ولذلك مـا دخل الإسـلام مكاناً إلا وأصـبـحت له جـذور عـمـيـقـة من العلاقات الطيبة مع كل من يعيش معه.

من هنا يمكن اعتبار الإسلام ديناً للمؤمنين به أي المسلمين.

وهو حضارة إنسانية ينتمي إليها كل من يقيم في ظل شريعته وتسامحه وعدالته.

المسيحيون الشرقيون

ويمكن التذكير في هذا المجال أن المؤرخين الغربيين الذين أرخوا للحروب الصليبية، أجمعوا على أن من أسباب انتصار صلاح الدين الأيوبي على الفرنج المسيحيين خيانة نصارى الشرق لنصارى الغرب

أي وقوف النصارى في البلاد المستظلة بالإسلام مع المسلمين وليس مع النصارى القادمين للغزو.

ولم يكن في حقيقة الأمر انتصار المسيحيين الشرقيين للمسلمين فحسب، بل كان مؤازرة للحضارة الإسلامية التي ينتمون إليها مع المسلمين.

لأن هذه الحضارة لم تسلبهم أموالهم ولا أعراضهم ولا معتقداتهم، بل كانت تتميز بالعدل والسلم والثقة المتبادلة فيما بينهم وبين المسلمين.

الإسلام حضارة إنسانية لأنه يعطي ويأخذ من المسلمين وغيرهم سواء بسواء حسب تشريع واضح.

مذاهب وأفكار جديدة

وفي العصر الحديث حين بدأت الدولة العثمانية بالانهيار، ظهرت أفكار عديدة تتهم الإسلام بالرجعية والتخلف، وتدعوا إلى ما يغايره، كالقومية والاشتراكية والشيوعية والناصرية وغير ذلك

ويجب القول بأن هذه الأفكار الجديدة، قد أتت إلينا من شعوب أخرى بعيدة عن الإسلام، وهي بالتالي لا تتفق مع الإسلام في شيء.

أفكار غريبة يطويها الإسلام

لكن هذه الأفكار دخلت بلادنا وتبعها عدد كبير من المسلمين.

وإن كان المنظرون والقياديون في هذه الأفكار يدركون أنها لا تمت للإسلام بصلة، فإن الناس العاديين الذين اتبعوها وآيدوها، يظنون أنها تتفق مع الإسلام.

وأنه لا غرابة أن يحافظوا على دينهم الإسلامي وإيمانهم وعقيدتهم وهم بنفس الوقت يتبعونها.

فالشيوعية مثلاً ملحدة وكافرة وتعادي الأديان جميعاً، إلا أن أكثر من اتبع الشيوعية في العالم الإسلامي، من غير القياديين والمنظرين، يظن أنها لا تتعارض مع الإسلام.

ولو أنه أدرك تعارضها مع الدين لأنكرها وعاداها.

أريد القول إن الأحزاب غير الإسلامية كالقومي الاجتماعي السوري والناصرية والبعث والعربي الاشتراكي والجمهوري السوداني وغيرها.

وإن كانت هذه الأحزاب تتهم المسلمين بالرجعية فإن الأغلبية العظمى من أتباعها يظنون أنها تتفق مع الإسلام، أو لا تتعارض معه.

وبالتالي هي أحزاب تختلف مع الإسلام نظرياً، وتنتمي واقعياً إلى الحضارة الإسلامية ومحسوبة عليها، وتعمل من خلال هذه الحضارة

وذلك بالرغم من ادعائها بأن انتماءها يعود للفينيقيين أو الآشوريين أو القبائل العربية وغيرها ،

وهي أسماء لحضارات سابقة نشأت وتعاقبت واندثرت وبادت. واستظلت بقاياها في ظل الإسلام بعدله وسماحته وإنسانيته.

خندق واحد

ويجب القول هنا إن الأحزاب الإسلامية وغير الإسلامية قد شاركت في حرب فلسطين عام ١٩٤٨

وقد جند حزب البعث السوري فرقة عسكرية كانت تحارب إسرائيل إلى جانب فرقة عسكرية أخرى شكلها حزب الأخوان المسلمين..

كانتا معاً تحاربان في خندق واحد

وهذا يدل على أن الحزبين كانا يحاربان في ظل الإسلام

ولم يكن أحدهما أقل أو أكثر عملاً وجهداً للحضارة الإسلامية رغم اختلاف الشعارات فيما يخص الاشتراكية والقومية والإسلام.

فالانتماء الحضاري أمر في غاية الوضوح بين المستظلين بالإسلام كحضارة أو دين

القانون الدولي والقرارات الدولية

جرى تقسم الدولة الإسلامية حسب مصالح الدول الكبرى أو القانون الدولي. هذا القانون هو الذي شكل أغلبية الدول القومية في العالم ومنها الدول العربية وكذلك إسرائيل،

القانون الدولي هو مجموعة الاتفاقيات والقرارات الدولية التي صدرت في العصر الحديث منذ قبيل الحرب العالمية الأولى حتى الآن، كما تصبح كل اتفاقية جديدة سابقة قانونية يعتمد عليها.

وتظن الدول الكبرى التي وضعت القانون الدولي واستخدمته وهي تمثل الحضارة الغربية، أنها من خلال تمزيقها للدولة الإسلامية قد قضت وبشكل نهائي على امبراطورية قوية زاحمتها ردحاً طويلاً من الزمن.

التضامن الشامل أو الجزئي يعبر عن الإسلام

لكن الدول العربية كانت تنادي بالوحدة العربية الشاملة من المحيط إلى الخليج، أو بوحدة جزئية بين عدد من الدول في المنطقة الواحدة، كالمغرب العربي أو بلاد الشام أو مصر والسودان أو الدول الخليجية.

هذه الوحدة جغرافياً لا تتعارض مع أي تقارب إسلامي، يعيد إلى اذهان أوربا والغرب ذكرياتها مع الدولة الإسلامية التي وصلت قواتها إلى هنا

ويمكن القول إن أي عملية تقارب أو تضامن أو وحدة بين بعض أو كل الدول في العالمين العربي والإسلامي، وإن ارتدت أحياناً حلة قومية،

فهي تثير الحضارة الغربية ضد الإسلام والمسلمين.

اسرائيل جسم غريب

كما آن معاداة الدول العربية للوجود الاسرائيلي ذلك الكيان الذي أوجدته الدول الكبرى التابعة للحضارة الغربية، إن هذه المعاداة وإن كانت ترتدي حلة قومية أو فلسطينية، فهي في جذورها موقف إسلامي أملته الحضارة الإسلامية.

إن اسرائيل تشكل جسماً غريباً لا يتفق مع التعايش السلمي الذي أقامته الحضارة الإسلامية بين مختلف الانتماءات في المنطقة.

الأحزاب غير الإسلامية لم تكسب ثقة الحضارة الغربية

وإذا كانت الدول القومية في العالم الإسلامي قد جارت آحياناً على المنتمين لأحزاب إسلامية خلال فترات من حكمها، فإنها لم تستطع كسب ثقة الدول الكبرى.

لأنها وإن جارت على المسلمين، فهي دون أن تدري تنتمي للإسلام ديناً وحضارة.

الحضارة الإسلامية تستوعب كل ما يخالفها

إن من ميزات الحضارة الإسلامية أن جذورها عميقة في نفوس المنتمين إليها مسلمين أو غير مسلمين، وقد طبعت المناطق التي دخلتها خلال تاريخها الطويل بطابعها الخاص.

ولقد فرضت نفسها بما تمتلكه من حكمة وواقعية وأخلاق وتسامح على كل أخضر ويابس في المنطقة.

وبطريقة أخرى، يمكن القول بأن العالم العربي والإسلامي وجميع ما يضمه من أقليات ينتمي إلى الحضارة الإسلامية.

هذه الحضارة إنسانية لأنها تؤمن بالتعايش السلمي بين جميع القاطنين في ظلها.

وبذلك استطاعت هذه الحضارة أن تستغرق في داخلها أو تستوعب سائر الحضارات التي سبقتها.

والأرض الفلسطينية في ظل الحضارة الإسلامية عاش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود بأمان وسلام

الحضارة الإسلامية والحروب الصليبية

ويجدر القول بأن الحروب الصليبية وبعد معارك عديدة انتهت بمعركة حطين الشهيرة. والتي وقعت بعد مائة عام من بداية هذه الحروب.

هذه المعركة كسرت شوكة الحرب، وبقي الصليبيون بعدها مائة عام أخرى، وعاد السلام من جديد إلى المنطقة شيئاً فشيئاً دون عنف أو قتال برعاية الحضارة الإسلامية.

فلسطين ستستظل بالحضارة الإسلامية

إن تواجد اسرائيل في المنطقة قضية حضارية ولا يمكن أن تستمر إسرائيل في تحدي الدول المحيطة بها، وستخسر، حرباً أم سلماً، مواقعها وقوتها.

وستعود الأرض الفلسطينية جزءاً من الأرض التي تستظل بالحضارة الإسلامية.

لا أهمية لشكل هذه العودة إن كانت قومية أو عربية أو أي شكل آخر، فالحضارة الإسلامية ستستغرق هذه الأرض كما استغرقتها بعد الغزو الصليبي، وستعيش داخلها مختلف الفئات والأديان بسلام وأمان وقبول الآخر واحترامه.

الحضارة والإرهاب :

مواجهة الإرهاب يمكن تصنيفه ضمن النزاع السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أما محاربة الإسلام فهي حرب حضارية...

ويخلط الغربيون بين الحضارة كمفهوم عام والسياسة والاقتصاد والاعلام. ويظنون أنهم لو قاموا بالتعتيم على الإسلام سياسياً أو اقتصادياً أو إعلامياً، فإن حضارته ستذوى وستصبح في مهب الريح.

في حين أن الحضارة مفهوم أعمق وأشمل من السياسة أو الاقتصاد أو الإعلام ولا يمكن محاربتها إلا من خلال تفاعل هادئ بعيد عن الضغوط والقسرية.

أو أنهم حين يطالبون بتغيير مناهج تعليم الإسلام، وحذف آيات من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وعدم سرد بعض تاريخنا على أبنائنا كغزوات النبي صلى الله عليه وسلم، والفتوحات الإسلامية

فإنهم يظنون بأنهم يقضون بذلك على الإسلام وحضارته

وقد تناسوا أن الشيوعية الروسية، وهي من سلالة الحضارة الغربية، قد فعلت ما هو أشد وأعتى من ذلك فقد حاربت الإسلام والمسلمين حرباً شعواء

فقد أغلقت المساجد، فلا صلاة ولا زكاة ولا قرآن ولا أحاديث ولا مذاكرة للتاريخ الإسلامي، بل هنالك العذاب والتنكيل بالمسلمين، واستمر ذلك سبعين عاماً.

ثم انقشع الظلام، وأعلن عن يوم محدد تفتح فيه المساجد للصلاة، وفي أول صلاة، لم يكن هناك موقع قدم لمزيد من المصلين.

فقد اكتظت مساجد موسكو وصلى الناس في الشوارع تحت المطر والصقيع خلف الأئمة داخل المساجد.

من أين جاء هؤلاء المسلمون، بعد أن مُنِعوا وقُتِلوا وشُرِدوا طوال سبعين عاماً؟

لقد كانوا يتعبدون في منازلهم سراً - يقرأون القرآن والحديث ويصلون ويصومون ويؤدون شعائرهم المقدسة.

وفشلت الشيوعية أو الحضارة الغربية في القضاء على مسلمي روسيا

ومع ذلك لم تدرك الحضارة الغربية أن الحضارة الإسلامية لا يقضى عليها ابداً

فالصلاة يمكن أن تقام سراً كل واحد في بيته

والجماعة كذلك تبدأ من اثنين ويمكن أن تكون سراً

أما صلاة الجمعة فيمكن أن تقام في ثلاثة أشخاص في بعض الأقوال وأربعين شخصاً في أكثر الأقوال.

وعلى الصلاة يمكن القياس

إن الحضارة الغربية لم تدرك بعد أن الإسلام هو في نفس كل مؤمن، ولا ينتهي تواجده إلا مع فناء الإنسانية أي إلى يوم القيامة.

إن من السذاجة أن تفكر الحضارة الغربية بمواجهة المسلمين والتفكير بالقضاء عليهم لأن الإسلام يقبل بالحوار ويبدأ به ويقبل بالتعايش مع الآخر

إلا إذا كان الغربيون لا يثقون بحضارتهم أو أنها ضحلة ولا تسبر أغوار النفس البشرية ولا تستطيع محاكاة الواقع ولا أن تتفهمه.

ولم تدرك الحضارة الغربية بعد أن بعض المسلمين لا يمثلون أكثريتهم

فالعنف أو الإرهاب ليس من صفات الإسلام

وان تشدق بعض الإرهابيين بالإسلام، فالحقيقة أن إرهابهم قد ظهر كردة فعل على مواقف الدول الكبرى من القضايا التي تعصف في دول العالم الثالث ونتج عنها حرمان الشعوب الضعيفة من ممارسة حياتها الا مع الفقر والجوع والتأخر.

إن محاربة العنف تقتضي تقصي الحقائق والأسباب التي أدت إليه

أما أن تحارب الحضارة الغربية الإسلام دون فهم وتدبر، فذلك هو العنف الذي يزيد الفتنة اشتعالاً ويؤجج الإرهاب ولا يقضي عليه.

المدارس الأجنبية :

ومن ناحية أخرى يظن الغربيون كذلك أن التعتيم على الإسلام يؤثر عليه، وأن إبعاد بعض المسلمين عن أصالتهم ولغتهم ودينهم سيقود إلى انتشار هذا الابتعاد عن الدين

وهم بهذا الظن على سذاجة واضحة

وفي هذا المجال تقوم بعض المدارس الأجنبية في العالم الإسلامي بمحاربة الإسلام بسذاجة واضحة من خلال اتهامه بالرجعية وعدم مواكبة العصر. وأن لا جدوى من تدريس مبادئه ضمن مناهجها.

وتركز مثلاً على أن قواعد اللغة العربية صعبة جداً وأنه ينبغي تعديلها، او الأخذ بعدم تدريس اللغة العربية أصلاً، كما أنها تمتنع عن تدريس الدين الإسلامي.

فينشأ الطلاب بعيدين عن لغتهم وأصالتهم ودينهم الحنيف، وتظن هذه المدارس أنها قدمت إلى المجتمع مثقفاً رائعاً لا ينتمي للحضارة الإسلامية وسيكون قدوة لغيره وسيتبعه الكثيرون.

وقد قامت الجهات المختصة في أكثر الدول العربية بمراقبة هذه المدارس التي تقوم بتدريس المناهج الغربية

وأصدرت بعض الدول قرارات بمنع مواطنيها عن الالتحاق بالمدارس الأجنبية، والمخصصة للأجانب فقط.

وقد قامت بعض الدول العربية بمنع أي عربي مقيم عندها عن الالتحاق بهذه المدارس

هذه الحرب يتباسط فيها البعض، ويظنون أن من حق الوالدين إلحاق أولادهم بأي مدرسة يشاؤون، لكن هذه المدارس لا تراعي حقوق الطلاب الذين يدرسون بها.

وأبسط حق لهم وضوح انتمائهم لحضارتهم ودينهم.

فالطالب العربي أو المسلم الذي لم يتلق عناية خاصة جداً في البيت حين يتخرج من مدرسة أجنبية يجد نفسه مثقفاً ليس كأبناء جلدته من المثقفين، ويلمس أنه غريب عن مجتمعه وعن أقرب الناس إليه كأمه وأبيه وأسرته لأنه يجهل لغتهم وبالتالي غريب أو غير متفهم لدينه الإسلامي لأنه لم يدرسه.

ويشعر وهو في مجتمعه بين أقرانه وأقاربه وكأنه منبوذ لا يقبل منه رأي ويستهجن منه أي حديث.

ومع أنه متفهم لحضارة الغرب لأنه درسها إلا أنه لا يتمتع بثقة المجتمع الغربي، وأكبر دليل أنه مؤخراً، لم يفرق الغربيون بين من هو متفهم لهم أم غير ذلك

بل اتهموا المسلمين كافة بالإرهاب دون تمييز أو تفريق

ومن ضمنهم ذلك الخريج مجهول الانتماء الذي تربى في مدارسهم وتلقى علومهم وشعر بغربته عن وطنه ودينه وما زال يشعر بالمعاناة تجاه حضارتين لم تصل إحداهما إلى قرار وجدانه.

المراجـع

- **القــرآن الكريـــم**

تاريخ وحضارة مصر والعراق وبلاد الشام وإيران وتركيا منذ أقدم العصور

د. جمال عبدالهادي - د. وفاء محمد رفعت

دار الشروق - جدة

- **تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية**

احسان حقي - ط ١ -١٩٧٨

- **الموسوعة العربية الميسرة - د. محمد شفيق غربال**

دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٥٦

التاريخ الاسلامي العام حتي الدولة العباسية

علي ابراهيم حسين - مكتبة الروضة المصرية

- **الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية**

السيد أحمد بن زيني دحلان

مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع-١٩٦٨

- **دولـة بنـي العبـــاس**

د. شاكر مصطفى - وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٤

- **أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية حتى الثورة الفرنسية**

هربرت فيشر - ترجمة : د. زينب عصمت راشد، د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، د. أحمد عزت عبدالكريم

دار المعارف بمصر

أوربا منذ أقدم العصور (اليونان)

د. جمال عبدالهادي، د. وفاء محمد رفعت

دار الشروق - جدة

- **الرومـــــــان**

ر.هـ. بارو - ترجمة: عبدالرزاق يسري - مراجعة د. سهير القلماوي

دار نهضة مصر ١٩٦٨

تاريخ أوربا في العصر الحديث

هـ. ا. ل. فيشر

تعريب أحمد نجيب هاشم - وديع الضبع

ط ٦ - دار المعارف بمصر

- **تمهيد في علم الاجتماع**

ت.ب.بوتومور

ترجمة وتعليق: د. محمد الجوهري - د. علياء شكري - د. محمد علي

د. محمد الحسيني . ط ٢ - ١٩٧٣

دار الكتب الجامعية - دار الجيل للطباعة، الفجالة-مصر

- **فنون الشرق الأوسط والعالم القديم**

نعمت اسماعيل علام

دار المعارف بمصر - ط ٢ - ١٩٧٥

- **موجـز المبـادئ الاقتصاديـة**

د. قبلان سليم كيروز - بيروت ١٩٧٩

المجلة الاقتصادية السعودية

السنة ٢ - العدد ٣ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)

مقال: العولمة..المفاهيم والمتطلبات

د. ذكار مخلص الخالدي - رئيسة وحدة التخطيط وتنسيق البرامج،

الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية الاجتماعية لغربي آسيا

- **نـذر العولمـــــة**

عبدالحي يحيى زلوم

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١- بيروت-١٩٩٩م

رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين

للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي

تحقيق : رضوان محمد رضوان

- **فقـــه السنـــة**

سيد سابق -جـ١٠ - المطبعة النموذجية ط ١ -١٩٦٧-مصر

- **الوسيط في القانون الدستوري**

د. ادمون رباط - جـ٢ - بيروت

- **الرحيـــق المختـــوم**

صفي الدين المباركفوري

رابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة - ١٩٨٠

- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**

د. مانع بن حماد الجهني

ط٣ - الرياض ١٤١٨هـ

- **فلسطين وسماحة المفتي الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني**

عيسى خليل محسن

ط ١ - ١٩٩٨ - الأردن

كتب للمؤلف

- أدب وأدباء في الصحافة السعودية

جمع ونقد وتصنيف لما نشرته الصحف السعودية للأدباء السعوديين يتألف من :

(١) الجزء الأول : الشعر، ويحتوي على مقدمة في الأدب والصحافة

(٢) الجزء الثاني : القصة القصيرة

(٣) الجزء الثالث : المقال (تحت الطبع)

- الإسلام ... مقدمة عامة

باللغتين العربية والإنجليزية، وهو محاولة لتعريف الدين الإسلامي الحنيف وعرض لنماذج من أحكامه ثم مناقشة بعض الأفكار المعاصرة

- الاصلاح الاقتصادي في العالمين العربي والإسلامي

قراءة مبسطة لمبادئ علم الاقتصاد، يستعين بها القارئ العادي على المتابعة الاقتصادية والمالية، والاصلاح الاقتصادي يبدأ بالزكاة يلي ذلك عرض للمعوقات وبحث في عمل المرأة

- الحضارات .. صراع وحوار وتفاعل

عرض لعدد من الحضارات واستخلاص عناصر الحضارة يلي ذلك استنتاج واستدلال ثم مقارنة بين الحضارتين الإسلامية والغربية وقراءة مختارة من الحضارة الإسلامية، اشتملت على المملكة العربية السعودية التي اختارت الاسلام منهجاً في مسيرتها الحضارية، وعرض تاريخي حضاري للقضية الفلسطينية وبحث في الانتماء الحضاري.

الفهرس	صفحة
الإهـــــداء	٣
هذا الكتاب	٥
القسم الأول : مقدمة في الحضارات	٧
الفصل الأول - حضارات من التاريخ	٩
الفصل الثاني - مميزات وعناصر الحضارة	٢٥
الفصل الثالث - نتائج واستدلال وتعريفات	٣٩
البند الأول : الحضارة الغربية : من الفردية إلى العولمة	٤٦
البند الثاني : الحضارة الاسلامية : التعايش وقبول الآخر	٥١
القسم الثاني : قراءات في الحضارة الاسلامية	٦٥
الفصل الأول : المملكة والمشعل الحضاري	٦٧
الفصل الثاني : فلسطين .. قضية حضارية	٧٥
البند الأول : التاريخ السياسي	٧٩
البند الثاني : تاريخ المقاومة	٩٥
الفصل الثالث : الانتماء الحضاري	١٠٥
المراجع	١١٨
كتب للمؤلف	١٢١

مطبعة محسن الحديثة
هاتف : ٦٨٣٠٣٢٥ / ٦٨٢٧٣٤٣ - فاكس. ٦٩٨٠٤٢٠
ص.ب ١٤٤٠٨ جدة ٢١٤٢٤ المملكة العربية السعودية

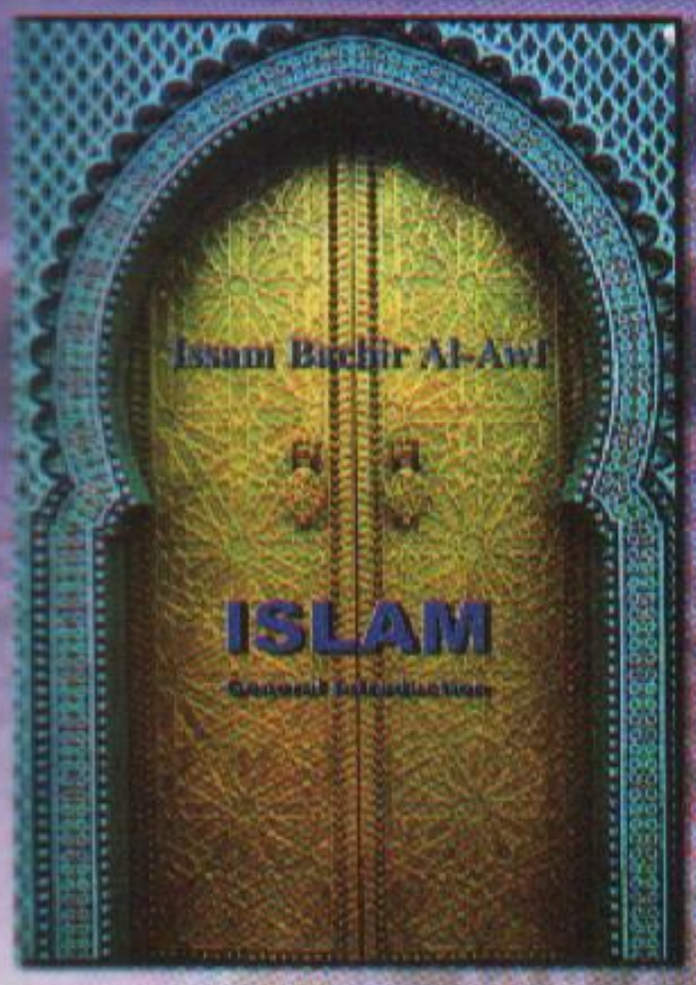

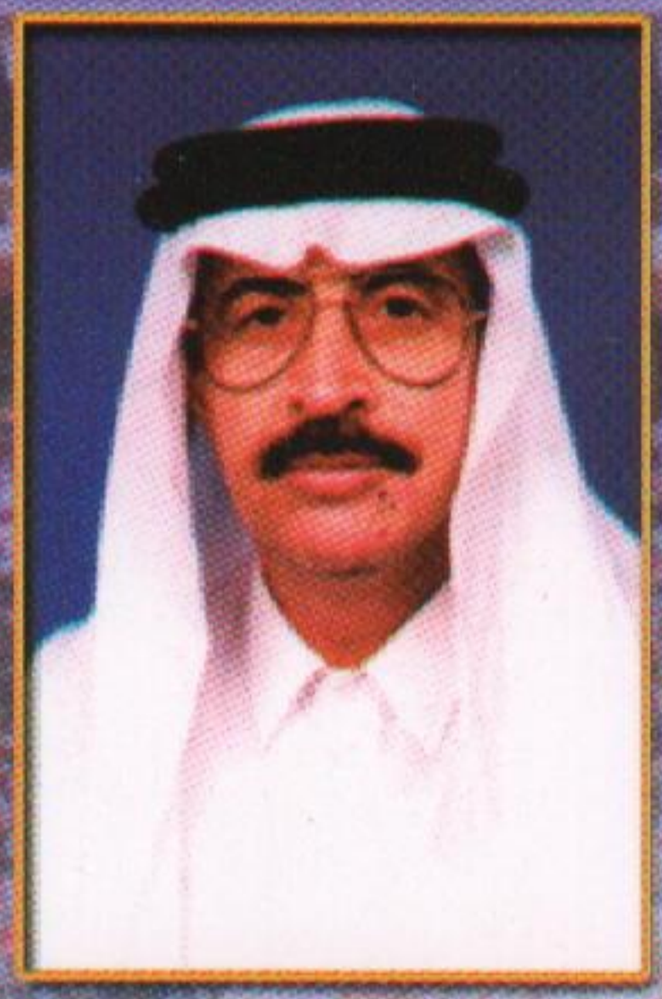

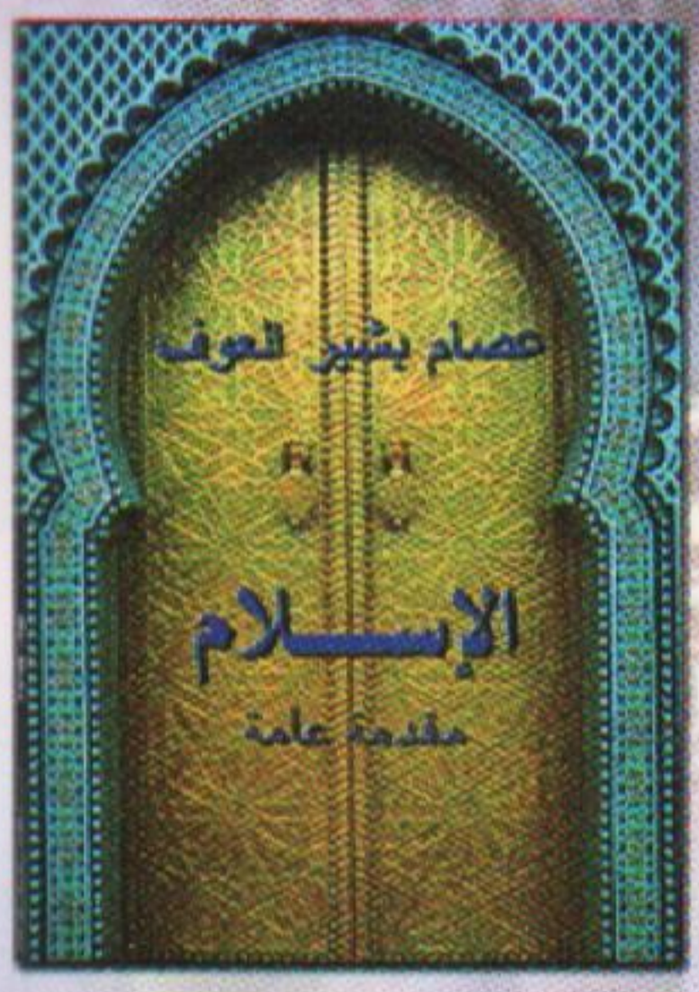

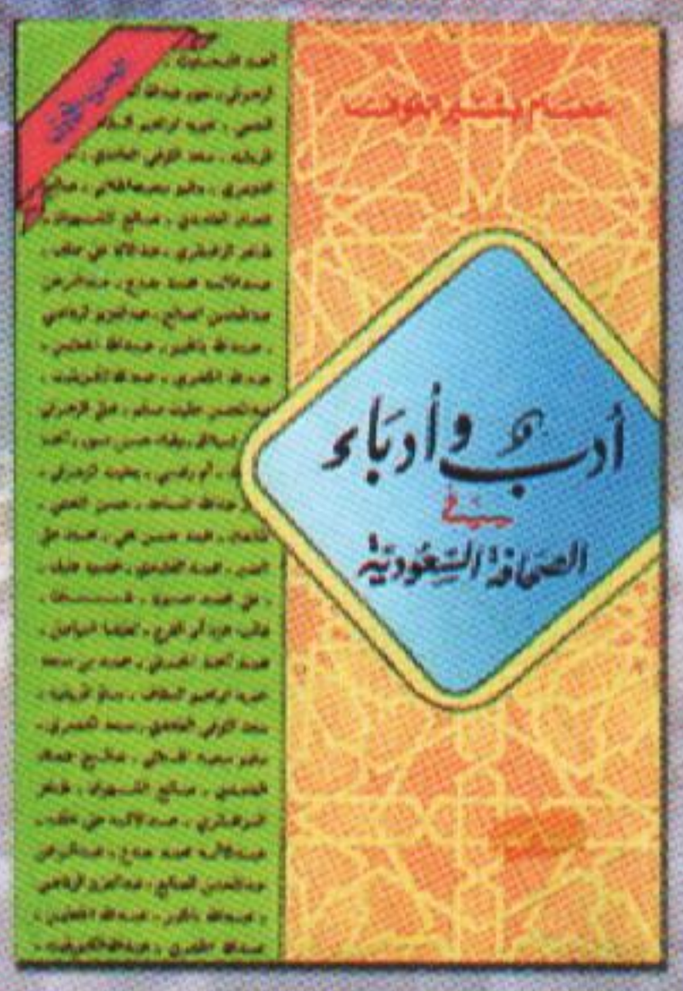

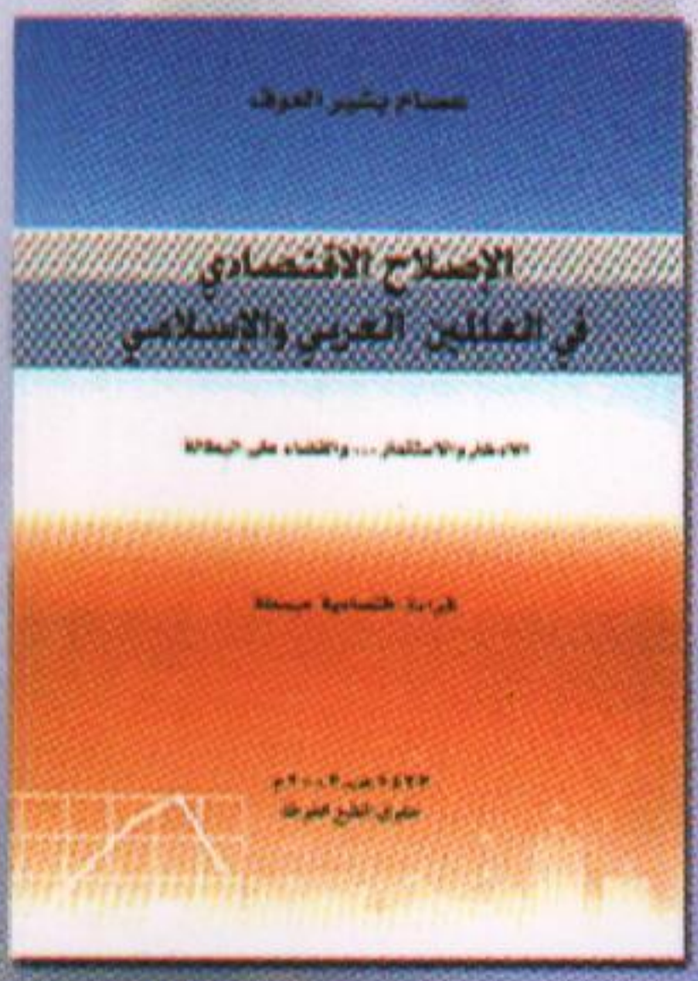

رقم الإيداع: ١٤٢٣/٥٥٠٧
ردمك :: ٥-٣٥٩-٤٣-٩٩٦٠